

مطبوعة: الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

جامعة الجبالي بونعامة-خميس مليانة، عين الدفلى

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة جامعية بعنوان:

## الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

السنة الثالثة ليسانس علم الاجتماع

من إعداد: د. نسيبة فاطمة الزهراء

الموسم الجامعي: 2017/2016

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

### الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

#### أولاً: وصف المادة

تتضمن هذه المادة بين طياتها الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع، ويهتم بمناقشة الدراسات الغربية التي ساعدت على ظهور علم الاجتماع، وكلها نظريات هامة حول دراسة المجتمع من كل الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية... الخ.

#### ثانياً: أهداف المادة

تهدف هذه المادة إلى شرح النظريات الحديثة لعلم الاجتماع، ومدى فاعليتها في تنظيرها للواقع الاجتماعي بما تعكسه من نتائج ومقترحات على مجتمعات أخرى.

كذلك الأمر تهدف هذه المادة إلى بيان مدى تأثير العوامل الجغرافية والبيئية التي تحيط بمجتمع ما التي درست من طرف العلماء الغربيين ومدى فاعليتها في مجتمعاتنا.

#### ثالثاً: محتوى المادة:

\* التعرف بشكل معمق على النظريات الغربية الحديثة والتي كان لها الفضل في تطور تخصص علم الاجتماع.

\* بيان الهدف من دراسة مادة الدراسات المؤسسة لعلم الاجتماع.

\* توضيح الغاية من دراسة هذه النظريات ومدى فاعليتها.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

\* إعطاء لمحة عامة عن النظريات الغربية التي تدرس المجتمع.

### خطة المطبوعة:

أولاً: الانتحار عند أيمل دوركايم

ثانياً: تجارب هاوثورن " إلتون مايو" ( Elton Mayo)

ثالثاً: ميدلتاون لروبيرت ليند

رابعاً: يانكي سيتي "لويد وارنر" William Lloyd Warner

خامساً: اختيار الشعب عند بول لازار سفيلد

سادساً: التناقض الأمريكي عند غونار ميردال

سابعاً: هوارد بيكر "الغرباء"

ثامناً: الجندي الأمريكي لصموئيل ستوفر

تاسعاً: ثقافة الفقر لاوسكار لويس

عاشراً: الفلاح البولندي وويليام توماس وفوليان زنانكي

حادي عشر: ادغار موران النهج إنسانية البشرية.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

### خامسا: المهارات المكتسبة

تهدف هذه المادة إلى إكساب الطالب المهارات التالية:

1. إكساب الطالب مهارة التنظير ومدى ملائمة النظرية مع الموضوع المختار في مذكرة التخرج.
2. إكساب الطالب مهارة تحديد الأسلوب الأفضل لاختيار النظريات المناسبة لكل فروع علم الاجتماع.
3. تعريف الطالب بالنظريات الغربية الحديثة التي أجريت في القرن العشرين وكان لها الفضل في تطور علم الاجتماع.

**نبذة عن حياة العالم إميل دوركايم (1858-1917م):**

"ولد إميل دوركايم في 15 افريل 1858م في بلدة ابينال بالقرب من سهل اللورين الذي يشتمل على بعض المدن الفرنسية. وفي أحضان أسرة يهودية نشأ دوركايم فهو أحد أحفاد كبار أحبار اليهود ولد في أسرة تتحدر أصلاً من حاخامات المذهب الرباني اليهودي الذين يدينون بالمذهب العبراني الجديد ولذلك اتجه دوركايم منذ طفولته وصباه نحو دراسة التلمود والعهد القديم كما درس أيضاً العبرية والتاريخ ثم هجر اللغويات كي يدرس تاريخ الأديان.

والى جانب اليهودية تأثر دوركايم بتعاليم الديانة الكاثوليكية تلك التي لقيتها إياه إحدى مدرساته الكاثوليقيات وهي امرأة لها فضل تربيته وتنقيفه ودرايته بتعاليم الدين الكاثوليكي التي تلقاها من هذه الكاثوليكية التي كان لها أثرها الواضح في نشأته الدينية تلك التي غلبت على معظم كتاباته السوسولوجية فجاءت دراساته في علم الاجتماع الديني ذات مسحة صوفية متميزة.

وفي عام 1878م ذاعت شهرة دوركايم ثم انتقل للتدريس بجامعة بوردو وألقى دروساً في علم الاجتماع العائلي والجنائي وفي التضامن الاجتماعي والانتحار وفي التربية والدين كما ألقى دروساً في تاريخ المذاهب السوسولوجية وفي المسؤولية والجزاء والتنظيم الاجتماعي للقبائل الاسترالية القديمة".<sup>(1)</sup>

"توفي دوركايم في 15 نوفمبر 1917م بعد الصدمة التي تلقاها بمقتل ابنه الوحيد في عمليات الحرب العالمية الأولى، الابن الذي خطط والده أن يكون وريثه العلمي. ذلك أن دوركايم جعل

<sup>1</sup> - بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسولوجيا المجتمع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008، ص ص 74-75.

ابنه يتخصص بموضوع علم اجتماع اللغة .وبعد مقتل ولده في الحرب فقد إميل دوركايم أمل العيش في الحياة فمات وهو يحمل الأفكار المرة عن الحياة وويلاتها وعدم استقرارها.

يعتبر دوركايم أحد دعائم الحركة العلمية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وهو مؤسس علم الاجتماع الحديث وزعيم المدرسة الفرنسية (الوظيفية) لعلم الاجتماع<sup>(2)</sup>.

ومن أهم مؤلفاته: "تقسيم العمل الاجتماعي". (1893)، قواعد المنهج في علم الاجتماع. (1895)، الانتحار. (1897)، التربية الخلقية. (1903)، الصورة الأولية للحياة الدينية. (1912)، علم الاجتماع والفلسفة. (1924)، المجلة السنوية لعلم الاجتماع عام 1896 التي أصبحت لعدة سنوات المجلة الرئيسية للفكر الاجتماعي والبحث في فرنسا<sup>(3)</sup>.

وهناك ثلاثة عوامل شكّلت تفكير دوركايم: "المذهب العقلاني عند ديكرت بتأكيد القوي للتحليل الصوري، وعصر التنوير الذي يعد بعصر جديد يتحقق فيه الاستخدام الحر للعقل، ثم وضعية أوجست كونت التي أنارت الطريق لوجود علم جديد للمجتمع، بمنهجه ومدخله واتخذ مكانا مع العلوم الأخرى في قدرته على اكتشاف القوانين واستخلاص التعميمات والقيام بالتنبؤ. وإلى جانب هذه التأثيرات التكوينية لم تفشل نظرية التطور في أن تترك بصمة على تفكير دوركايم فقد ساعدته على رؤية المجتمع في ضوء النمو العضوي وتشابك الأجزاء، ولذلك أصبح المسرح مستعدا ليقوم دوركايم بتقديم أعظم إسهام في علم الاجتماع قدمه إنسان، وبدون دوركايم لسار تاريخ علم الاجتماع في اتجاه آخر. وبدونه لكان علم الاجتماع في خطر بالغ من رده إلى علم النفس الذي كان في ذلك الوقت علما أكاديميا كما كان الجو

<sup>2</sup> - الحسن إحسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار وائل للنشر، بغداد، 1999، ص 224.

<sup>3</sup> - بيومي محمد احمد، أسس وموضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 134.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

العام أكثر قبولاً بنسق فكري يفسر القوى التي تحرك المجتمع في ضوء الدوافع السيكولوجية والغرائز والإشباعات".<sup>(4)</sup>

### المجتمع وعلم الاجتماع لدى دوركايم

**تعريف المجتمع عند دوركايم :** "المجتمع لا يمكن أن يستمر إلا إذا وجدت درجة كافية من التجانس والتربية ترسخ وتدعم هذا التجانس، أما وظيفة المجتمع فهي تحقيق التجانس، وأدوات التجانس هي التربية، أن المجتمع هو قبل كل شيء ضمير وهو ضمير المجموعة الذي يجب إيصاله إلى الطفل".<sup>(5)</sup>

"ويتكون المجتمع من: النظم الاجتماعية أو القواعد الاجتماعية، الظواهر أو الوقائع الاجتماعية. وهي أنماط متكررة من السلوك الجماعي يشعر بها أفراد المجتمع. قوى عقلية أو فكرية أو تيارات فكرية ثقافية تتحكم في السلوك أو الفعل الاجتماعي".<sup>(6)</sup>

**تعريف علم الاجتماع عند دوركايم:** "علم يهتم بالظواهر الاجتماعية والالتزامات الأخلاقية الجمعية وخاصة تلك الظواهر التي تقهر الفرد على أن يسلك سلوكاً معيناً داخل الجماعة.

**تقسيم دوركايم لعلم الاجتماع:** صنف ميادين علم الاجتماع في ثلاث موضوعات رئيسية:

1. المورفولوجيا الاجتماعية وهي عبارة عن التركيب الجغرافي وكثافة السكان.
2. الفسيولوجيا الاجتماعية وهي التي تتضمن العمليات الديناميكية كالعقيدة والأخلاقيات والقانون والحياة الاقتصادية.

<sup>4</sup> - بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008، ص ص 77-75.

<sup>5</sup> - الغريب عبد العزيز بن علي، نظريات علم الاجتماع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2009، ص 152.

<sup>6</sup> - نفس المرجع السابق، ص 150.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

3. علم الاجتماع العام أي العلم الشامل الذي يجمع النتائج والقوانين العامة التي تصل إليها فروع علم الاجتماع مهما تباينت مقدمات تلك النتائج وأساليب استنباط تلك القوانين".<sup>(7)</sup>

**أسس الدراسة ومنهجية البحث عند دوركايم:**

"ينظر دوركايم إلى علم الاجتماع من حيث كونه يهتم بدراسة المجتمع وما ينبعث عنه من ظواهر دراسة علمية وصفية تحليلية. ولكي يتحقق هذا فإنه لا بد من منهج علمي يستطيع بفضل الوصول إلى قوانين الظواهر".<sup>(8)</sup>

**قواعد المنهج العلمي عند دوركايم:<sup>(9)</sup>**

\*"ضرورة تحرر الباحث الاجتماعي بصورة كلية من كل فكرة سابقة يعرفها عن الظاهرة موضوع الدراسة والبحث.

\* ضرورة تخصيص مبحث أو فصل من البحث لتحديد معنى المصطلحات والمفاهيم العلمية التي يستخدمها الباحث في دراسته العلمية. وهذه المصطلحات تعبر عن الظواهر الاجتماعية التي يدرسها الباحث.

\* عند قيام الباحث بدراسة الظواهر الاجتماعية المحددة في دراسته عليه ملاحظة هذه الظواهر. وهذا شرط ضروري حتى يمكن التوصل إلى الصفات الثابتة التي تتيح لنا الكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية ومن ثم تسمح لنا بالكشف عن القانون الذي تخضع له".

**أما خطوات منهج دوركايم في علم الاجتماع فيمكن درجها بالنقاط التالية:<sup>(10)</sup>**

1. "دراسة مكونات الظاهرة وتحديد عناصرها الأساسية لكي يتمكن الباحث من فهمها.

7- بيومي ، مرجع سابق، ص136.

8- الغريب، مرجع سابق، ص150.

9- الحسن، مرجع سابق، ص ص 235-236.

10- الحسن، مرجع سابق، ص ص 237-238.

2. دراسة أشكال الظاهرة في كل مرحلة من مراحل تطورها لربط ماضي الظاهرة بحاضرها بطريقة منطقية.

3. دراسة علاقة الظاهرة بالظواهر الأخرى المشابهة وغير المشابهة لها.

4. الاستفادة من منطق المقارنة بين الظاهرة والظاهرة الأخرى.

5. التعرف على الوظيفة التي تؤديها الظاهرة الاجتماعية وتطوير تلك الوظيفة في مختلف المراحل التي تمر بها الظاهرة الاجتماعية.

6. تحديد القوانين التي يتم استخلاصها من الدراسة بصورة دقيقة باعتبارها الهدف الرئيسي للعلم.

وقد تصاغ هذه القوانين في صور كمية تعبر عن الظاهرة بالأرقام أو في صور كيفية تحدد الخواص والصفات العامة والدعائم الأساسية التي تقوم عليها الظاهرة. وهذا كله لا بد أن يؤدي إلى رفع قيمة وفاعلية علم ما بين غيره من العلوم.

وكما يهتم المنهج عند دوركايم بالطريقة التاريخية فإنه يهتم أيضا بطريقة المقارنة ويعتقد دوركايم بان البحث عن العلاقات السببية بين الظواهر الاجتماعية ليس إلا جانبا مهما من الجوانب التي يهتم بها علم الاجتماع لذلك حاول أن يطور منهجا وظيفيا يلاءم دراسة الظواهر الاجتماعية، علما بان النزعة الوظيفية عند دوركايم هي بديل للمنهج الغائي الذي تكشف عنه كتابات كونت وسبنسر".

**الظاهرة الاجتماعية عند دوركايم:** عرفها بأنها طرق للسلوك والتفكير والشعور خارجة عن الفرد ولها من قوة التأثير ما تستطيع به أن تفرض نفسها على الفرد.<sup>(11)</sup>

<sup>11</sup>- بدر، مرجع سابق، ص 77.

صفات الظاهرة الاجتماعية:

\*"الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة موضوعية لها وجود خاص خارج شعور الأفراد الذين يلاحظونها ويحسون بها لأنها ليست من صنعهم بل يتلقونها من المجتمع الذي تنشأ فيه.

\*الظاهرة الاجتماعية ليست هي وليدة التفكير الذاتي عند الأفراد.

\*الظواهر الاجتماعية هي ظواهر شبيهة وهذه الخاصية هي التي اعتمد عليها دوركايم في تأسيس علم الاجتماع ذلك انه شبه حقائق العالم الاجتماعي بحقائق العالم الخارجي.

\*الظواهر الاجتماعية هي أشياء خارجية بالنسبة لشعور الأفراد، فالفرد يقبل الظاهرة ويخضع لها ويستسلم كما لو كانت قوة خارجية.

\*للظاهرة الاجتماعية صفة الإلزام أو القهر. أي تفرض نفسها على شعور وسلوك الفرد.

\*الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة إنسانية تنشأ بنشأة المجتمع الإنساني.

\*تمتاز الظاهرة الاجتماعية بأنها تلقائية أي من صنع المجتمع ومن خلقه.

\*الظاهرة الاجتماعية هي ظاهرة عامة وعمومية الظاهرة ناجمة من صفة القهرية.

\*تمتاز الظاهرة الاجتماعية بصفة الترابط، بمعنى أن كل ظاهرة اجتماعية مترابطة مع

الظاهرة الأخرى". (12)

**فكرة الضمير الجمعي:** "أحد المفاهيم الكبرى لدى دوركايم أما من حيث القانون والأخلاق والضبط الاجتماعي فهناك ولاء ملحوظ للضمير الجمعي الذي يعني مجموعة من المعتقدات والعواطف العامة بين أعضاء المجتمع والتي تكون نسقا خاصا ومثل هذا الضمير له وجوده

الخاص المتميز فهو يدوم عبر الزمن ويعمل على توحيد الأجيال، والضمير الجمعي يعيش بين الأفراد ولكنه يتميز بالقوة والاستقلال وبخاصة حينما تزداد درجة التشابه بين الأفراد.

وتعكس دراسة الضمير الجمعي عند دوركايم نظريته عن القهر الاجتماعي. وترتبط معالجته للظواهر الاجتماعية ارتباطا وثيقا بمناقشة الضمير الجمعي، حيث يعد المفهوم من مفاهيم دوركايم الرئيسية حيث عرفه بأنه: "مجموعة من المعتقدات والعواطف المشتركة لدى متوسط أعضاء المجتمع الواحد والتي تشكل نظاما اجتماعيا محددًا له حياته الخاصة به".

ويعتمد الضمير الجمعي في وجوده على الأحاسيس والعواطف والمعتقدات الموجودة في الضمير الفردي. وبالتالي أوضح أن هناك ارتباطا ذا تأثير متبادل بين الضمير الجمعي والأفكار الاجتماعية في الواقع الاجتماعي نتيجة الضغوط التي يمارسها الضمير الجمعي على أعضائه.<sup>(13)</sup>

**تقسيم العمل:** "يعتقد دوركايم أن ظاهرة تقسيم العمل ليست حديثة النشأة ولكن الجانب الاجتماعي منها كان أكثر ظهورا في أواخر القرن الثامن عشر ولقد تطورت إلى الحد الذي جعلها عامة وواضحة لكل فرد ولعل الاتجاه الذي اتخذته الصناعة الحديثة يكشف لنا بوضوح مدى عمومية وانتشار هذه الظاهرة والصناعة تهدف إلى تقسيم العمل إلى أبعد الحدود وأصبحت المهن منعزلة متخصصة ليست فقط داخل المصنع بل أصبح كل إنتاج في حد ذاته متخصصا من ناحية ومعتمد على غيره من ناحية أخرى كذلك في معظم قطاعات المجتمع سواء في الوظائف الإدارية أو العلمية أو غيرها ونجد شبيها لذلك أيضا في الكائنات العضوية والمجتمعات. ويرى دوركايم انه لكي نصل إلى تعريف موضوعي لتقسيم العمل لابد من ملاحظته ومقارنته ودراسته كحقيقة موضوعية ولما كان تقسيم العمل يتضمن كل من القوة الإنتاجية وقدرة العامل لذلك فهو شرط ضروري لتقدم المجتمعات سواء أكان فكريا أو

13- الغريب، مرجع سابق، ص156.

ماديا، والوظيفة الأساسية لتقسيم العمل انه يخلق شعورا بالتضامن والتماسك والترابط بين الأفراد علاوة على ذلك له اثر ملحوظ وواضح في زيادة الوظائف المقسمة المتخصصة".<sup>(14)</sup>

"تقسيم العمل يختلف باختلاف حجم المجتمع وكثافة السكان وشدة التفاعل الاجتماعي فازدياد السكان عامل أساس لتقسيم العمل ويعتبر كتابه تقسيم العمل أهم النصوص المنهجية في علم الاجتماع والتي حللت التصورات الطارئة خلال القرنين 18 و19م لذا خصص دوركايم الكتاب ليوضح رأيه في إمكانات تطبيق المقاربة الوظيفية من مبدأ يعتبر الوظيفية مبدأ نسبيا منهجيا. وهو يرى انه قد ترتب على تقسيم العمل شدة الصراع من اجل البقاء والاستمرار، فكثرة العدد تفرض على الأفراد ضرورة التخصص المهني مما يقلل من حدة الصراع ويتيح فرصة أوسع للحصول على وسائل الحياة.

وعن الوظيفة الايجابية لتقسيم العمل يرى دوركايم أن تقسيم العمل وما يترتب عليه من تباين بين الأفراد يعمل على تدعيم نوع من التماسك المتبادل في المجتمع وينعكس هذا التماسك المتبادل على العقلية الإنسانية والأخلاقيات كما انه يبرز في ظاهرة التضامن العضوي ذاتها. وكلما ازداد هذا التضامن رسوخا قلت أهمية الضمير الجمعي. وهكذا يستبدل القانون الجنائي القائم على جزاءات رادعة بقانون مدني إداري يهدف إلى حفظ حقوق الآخرين بدلا من العقوبة".<sup>(15)</sup>

**التضامن والتغير الاجتماعي:** "يعتبر من إسهامات دوركايم تصوره وجود شكلين أساسيين من التضامن بين أفراد المجتمع يعكسان بصورة أساسية نظريته نحو التطور والتغير الاجتماعي وهما:

**1. التضامن الآلي:** وهو إحدى خصائص المجتمعات التقليدية التي يتضاءل فيها نظام تقسيم العمل. حيث يحدث نوع من التماثل والتشابه بين أنماط العمل السائدة في هذه المجتمعات

<sup>14</sup>- بيومي، مرجع سابق، ص 142.

<sup>15</sup>- الغريب، مرجع سابق، ص 157.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

كما تظهر المعايير الاجتماعية باعتبارها قوة ضاغطة وتمارس نوعا من القهر والإجبار. وتحدث نوع من التماسك حيث تتمثل المعايير والأعراف والتقاليد والقيم وتتقارب وجهات النظر والآراء إلى درجة كبيرة.

2. **التضامن العضوي:** وهو إحدى خصائص المجتمعات الحديثة المتقدمة التي تقوم على نظم معقدة لتقسيم العمل وتنوع نمط العلاقات التعاقدية التي تؤدي إلى انخفاض درجة التضامن الاجتماعي وندرة مظاهر التضامن. كما تؤدي إلى تفكك العلاقات الاجتماعية وضعف قوة الضبط الاجتماعي وظهور مظاهر متعددة للانحراف والجريمة والتعدي على حقوق الآخرين". (16)

**ظاهرة الانتحار:** تمثل دراسة دوركايم عن الانتحار 1897 مكانة هامة في الدراسات السوسولوجية وكتابه هذا باجتماع معظم علماء الاجتماع يعتبر رائدا في تطبيق المنهج الإحصائي (الكمي) في دراسة الظواهر الاجتماعية، وهم يرون أنها أكثر ما تكون دراسة إحصائية ذلك لأنه عرفنا كيف يمكن أن ندعم البيانات التجريبية في موقف نظري معين.

**تعريف ظاهرة الانتحار عند دوركايم:** "يشير الانتحار إلى كل حالات الموت التي تكون نتيجة مباشرة لفعل إيجابي أو سلبي قام به الشخص المنتحر وهو يعلم انه سيؤدي إلى هذه النتيجة" (17).

**التعريف اللغوي للانتحار:** هو " كل فعل أو أفعال يقوم بها صاحبها لقتل نفسه بنفسه وقد تم له ذلك وانتهت حياته نتيجة هذه الأفعال" (18).

16- الغريب، مرجع سابق، ص ص 154-155.

17- بيومي، مرجع سابق، ص ص 146-147.

18- فايد حسين، دراسات في السلوك الشخصية، ط1، القاهرة، مؤسسة طبية للنشر والتوزيع، 2004، ص 288.

وفي لسان العرب الانتحار مصدر للفعل اَنْتَحَرَ، وهو إصابة الإنسان نفسه لقصد إفنائها، ويُقَالُ الانتحار هو الإجهاز على النفس ذاتها بأي طريق كان. ويقال: انتحر الرجل أي نحر نفسه. (19)

وفي تاج العروس "سرق السارق فانتحر. وهو مجاز". ومعنى المجاز هنا: هو أن السارق لم يسرق إلا ليكتسب من المال المسروق، ويملكه هو، فلما لم يحصل على مراده من ذلك، وكأنه أصيب بصعقة وكارثة خيبت آماله، فتراه كأنه يقتل نفسه كآبة وحرزناً وهماً وغماً، فكأنه انتحر" (20).

وفي معجم مقاييس اللغة: لفظ النحر عام، والانتحار خاص، فالنحر يكون للإنسان وغيره. فيدخل في ذلك: قتل الإنسان غيره، وقتل الإنسان نفسه. وقتل الإنسان لغيره مطلقاً، سواء كان آدمياً أم حيواناً فكله ذبح وقتل ونحر" (21). وفي المعجم الوسيط: "انتحر الرجل أي: قتل نفسه بوسيلة ما" (22).

وعند تناول التعريف الاصطلاحي للانتحار يجب التمييز بين نوعين من الانتحار هما الانتحار الحقيقي، أي الموت الجسدي، والانتحار النفسي. فالانتحار الحقيقي يعرف بأنه "قتل الإنسان لنفسه عمداً". أما الانتحار النفسي "Psychique Suicide". يعرف بأنه: نوع من الانتحار غير الصحيح حيث يزهد البعض في الحياة تماماً ويبغضونها، وتدفعهم عوامل اليأس إلى تحطيم أنفسهم فيصابون بحالات مرضية" (23).

19- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب، ص75.  
 20- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي. المجلد الرابع عشر، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1394هـ، ص 184.  
 21- ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، المجلد الخامس، القاهرة: شركة ومطبعة الحلبي وأولاده، 1392هـ، ص 400.  
 22- مصطفى، إبراهيم وآخرون (ب.ت) المعجم الوسيط. المجلد الثاني تركيا: المكتبة الإسلامية، 1392هـ، ص906.  
 23- فايد حسين، مرجع سابق، ص288..

ويعد دوركايم (1967) Durkheim أول من تناول مفهوم الانتحار فقد عرفه على أنه " كل حالات الموت التي تنتج بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن فعل إيجابي أو سلبي يقوم به الفرد بنفسه " وهو يعرف أن هذا الفعل يصل إلى هذه النتيجة أي "الموت"<sup>(24)</sup>.

كما أشار بيك وآخرين (1979) Beck et al. إلى " أن الانتحار ليس حدثاً منعزلاً ، بل هو عملية معقدة، وأن السلوك الانتحاري يمكن تصوره باعتباره واقعاً على متصل لقوة كامنة تشمل تصور الانتحار، ثم التأمّلات الانتحارية، ثم محاولة الانتحار، وأخيراً إكمال هذه المحاولة الانتحارية ".<sup>(25)</sup> وتتفق وجهة نظر كل من بونر وريتش (1987) مع ما أشار إليه بيك (1979) في أن السلوك الانتحاري عملية دينامية معقدة بدلاً من كونه حدثاً منعزلاً ثابتاً فالسلوك الانتحاري " عملية مركبة من مراحل مختلفة تبدأ بتصور الانتحار الكامن، وتتقدم خلال مراحل من تأمل الانتحار النشط، ثم التخطيط للانتحار النشط، وفي النهاية تتراكم محاولات انتحار نشطة لدى الفرد، وقد يتذبذب مركز الفرد في هذه العملية وفقاً لتأثير العمليات البيولوجية والنفسية الاجتماعية".<sup>(26)</sup>

### أنواع الانتحار عند دوركايم:<sup>(27)</sup>

**1. "انتحار الوحدانية أو العزلة الاجتماعية (Egoistic Suicide):** يظهر هذا النوع من الانتحار نتيجة لانعزال الفرد عن المجتمع لسبب ما يتعلق بالفرد نفسه أو يتعلق بالمجتمع الذي ينتمي إليه الفرد ويتفاعل معه، فهذا الفرد لا يستطيع تكوين علاقة طبيعية مع المجتمع لعدم تذوقه لقوانين وعادات المجتمع وسخطه على نظامه ووضعه العام، والمجتمع من جانبه لا يعطي المجال للفرد للتفاعل معه والانسجام مع مؤسساته البنوية نظراً لتناقض ميوله

<sup>24</sup> - سمعان، مكرم (1964م) مشكلة الانتحار، دراسة نفسية اجتماعية لسلوك الانتحاري بالقاهرة. القاهرة: دار المعارف، 1964، ص 45.

<sup>25</sup> - Bech, A. et al. (1979). Assessment of Suicidal Ideation: The Scale for Suicidal Ideation, Journal of Consulting & Clinical Psychology, Vol. 47, 343-344.

<sup>26</sup> - Bonner, R. & Rich, A. (1987). Toward a predictive model of suicidal ideation and behavior: Some preliminary data in college students, Suicide & Life-Threatening Behavior, Vol. 17, 50-51.

<sup>27</sup> - الحسن، مرجع سابق، ص ص 247-249.

واتجاهاته ومصالحه وأهدافه وقيمه مع تلك التي يتمسك ويؤمن بها الفرد. لذا يشعر الفرد بالبعد والاعتزاز عن المجتمع وهنا يفقد آماله وطموحه ويضيع كل شيء له علاقة بالمجتمع ويفشل في تذوق ثمرة عمله وجهوده، لذا تتعده عنده معاني الحياة السامية ويفقد مثله وقيمه ومقاييسه بعد ذلك يصاب بمرض نفسي خطير قد يؤدي به إلى الانتحار. وهذا النمط من الانتحار غالبا ما يصيب الأشخاص المعدمين والمحرومين والذين يعانون من الأمراض النفسية والعقلية.

## **2. انتحار التضحية في سبيل الآخرين (Altruistic Suicide):** يعتبر انتحار التضحية

في سبيل الآخرين مناقضا من حيث أسبابه ودوافعه لانتحار الوجدانية فهو ناتج عن شدة تماسك وانسجام الفرد مع جماعته وقوة علاقته الاجتماعية معها ذلك أن جماعته كما يعتقد لها أهميتها وفعاليتها في وجوده وكيانه فهو لا يستطيع العيش دون وجودها ويكون معتمدا عليها ومتأثر بتعاليمها وفلسفتها وأساليبها السلوكية كما يكون مستعدا على التضحية بماله ونفسه من أجل بقائه واستمرارها إذا تعرضت للخطر والتهديد وعندما تتعرض الجماعة لخطر العدوان أو التفكك فإنه يقوم بالدفاع عنها بكل ما يملك من قوة وبأس، وفي أحيان كثيرة ينتهج الصيغ الانتحارية لإنقاذها من مأزق التشتت والانحيار والفناء. وإذا فشل في إنقاذ الجماعة من الخطر فإنه يقدم على الانتحار علما منه بأنه لا يستطيع العيش بدونها ولا يريد مشاهدة وضعها البائس والمتشتت بعد عجزها في درء الأخطار والتحديات عنها والعمليات الانتحارية التي يقوم بها بعض أفراد القبائل عندما تتعرض قبائلهم بالغزو والاحتلال والسبي من قبل القبائل الأخرى إلا مثال حي على هذا النوع من الانتحار.

## **3. انتحار التفسخ الاجتماعي (Anomic Suicide):** يظهر هذا النوع من الانتحار

عندما يفشل المجتمع في السيطرة على سلوك وعلاقات أفراد، وعندما تتفسخ الأخلاق والآداب والقيم وتضعف العادات والتقاليد وتعم الفوضى والفساد في ربوع المجتمع وهنا يفقد الفرد آماله وطموحاته وتضعف أو تتعده عنده الرغبة في التفاعل مع الآخرين والانسجام

معهم. وعندما يشعر الفرد بعدم قدرته على وضع حد لهذه الحالة المتفسخة والشاذة وعجزه عن تغيير المجتمع نحو الأحسن فإنه يصاب باليأس والقنوط وانعدام الآمال والأهداف. ومثل هذه الحالة تلحق به المرض النفسي والكآبة والاشمئزاز من الحياة. إذن التفسخ الاجتماعي (Anomie) الذي يعبر عن نفسه في ارتباك موازين الحياة واضطراب قيمها ومقاييسها وتشتت آمال وأهداف الفرد وتناقض مصالحه مع مصالح المجتمع لا بد أن يدفع عدد غير قليل من أبناء المجتمع إلى الانتحار. أما الأفراد الذين يتعرضون لهذا النمط من الانتحار فهم المطلقون والمطلقات والذين يتعدون بقيم ومقاييس ومثل معين اكتسبوا من وسط المجتمع الذي عاشوا فيه وتفاعلوا معه وعندما تغير هذا المجتمع وتغيرت معه القيم المقاييس والمثل لم يستطيع الأفراد المسنون مثل تغير قيمهم ومثلهم القديمة وإدخال القيم الجديدة التي دخلت المجتمع مؤخرًا. وهنا يتعرض هؤلاء إلى عدم التكيف مع المجتمع الجديد فيفقدوا طموحاتهم وأهدافهم ويصبحوا من نقاد المجتمع والحاقدين عليه وعندما يفشلون في تغييره أو إصلاحه وفق أفكارهم وقيمهم وميولهم واتجاهاتهم فأنهم سرعان ما يصابون بخيبة الأمل واليأس ومثل هذه الحالة المأساوية قد تدفع بعضهم إلى الانتحار لتخلص من الحياة ومنغصاتها".

**نظرية دوركايم في الدين:** "قد يكون كتاب دوركايم "الصور الأولية للحياة الدينية" (1912) أجرى كتاب لدوركايم. وهو يقوم على أساس افتراض كانت الاثنولوجيا تعتبره افتراضا كاذبا أو على الأقل غير دقيق، وهذا الافتراض يقول بالتحديد أن الطوطمية ليست سوى دين وعلى أي حال فمزال دوركايم يعتقد أن الدين ليس وهما ولكنه بداية لكل الثقافات والحضارات. فالدين هو جوهر الجماعة، انه القوة الغامضة التي يشعر بها الأفراد وتوثر فيهم إذا لم يكونوا بمفردهم وإذا تجمعوا معا للقيام باحتفال مشترك. انه الشيء الذي يشتركون فيه جميعا انه ينظم حياتهم ويعطيهم الشعور بالأمن والسعادة ولكنه يفرض عليهم سلوك الجماعة الأخلاقي، وان سلوك التوحد مع القوة الخارقة للطبيعة يتحقق في طقوس الأضحية وفي طقوس

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

الاستعداد للصيد البري أو صيد السمك أو الحرب، كما يوجد هذا السلوك في الإشارات والرموز والممارسات السحرية والتي من خلالها يظهر التنظيم الاجتماعي. أي أن التنظيم الاجتماعي الذي يشعر به أعضاء الجماعة ويمارسونه إنما ينعكس في الدين<sup>(28)</sup>.

### استنتاج:

1. "أكد على ضرورة فهم الظاهرة الاجتماعية لأسباب اجتماعية مما أدى إلى استقلالية علم الاجتماع.

2. استخدم المنهجية العلمية التي اعتمدت على لغة الكم في فهم الظواهر الاجتماعية عندما استخدم المنهج الإحصائي الذي أعطى تكاملاً لفهم الظاهرة في علم الاجتماع.

3. استخدم الملاحظة والتجربة كطرق منهجية في فهم الظواهر الاجتماعية.

4. ابتدعه للعقل الجمعي واستخدام هذا المفهوم لتفسير الظواهر.

5. تأكيده على فكرة الموضوعية والحياد الأخلاقي بمعنى تقرير الأشياء كما هي في الواقع وأن لا يقحم الباحث ذاته في الدراسة.

6. أصر على استخدام عامل الدين لفهم الظواهر الاجتماعية.

### أهم الانتقادات الموجهة لدوركايم:

1. لقد اتهم دوركايم بالمادية عندما نادى بان الظواهر الاجتماعية يجب أن تدرس كأشياء.

2. إنه تحمس أكثر من اللازم لسوسيولوجيته وتغالى في تفسير الحقيقة الاجتماعية بحقيقة اجتماعية أخرى واشترط في استبعاده بعض المؤثرات الأخرى في الحياة الاجتماعية.

28- بدر، مرجع سابق، ص 79.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

3. في دراسته عن الانتحار لم يلتفت إلى العوامل الاجتماعية طبقا لما نادى به وهو تفسير الظاهرة الاجتماعية بظاهرة اجتماعية أخرى.

4. أوجه النقص الأساسية في نظريات دوركايم إنما ترجع إلى ذلك التصور الذي يتأتى من تعاريفه، فالتعريفات بالنسبة إلى ذلك تعريفات مبدئية بمعنى أنها تظل دائما في حاجة إلى تعديل كما أن أفكاره المنهجية الأساسية مثل شيء وواقعه وميكانيكي وموضوعي والفرد والقهر كانت معاني متعددة غامضة ويستخدم المصطلح في معاني مختلفة.

5. نزعتة المحافظة أي تأثيره بظروف عصره وقد كتب دوركايم خلال فترة تفكك اجتماعي.

6. اعتمد على تاريخ مجتمعات بعينها لتأييد وجهة نظره في تطور الأشكال الاجتماعية، وأهمل المجتمعات الأخرى مما أفقد نظريته الشمول والعمومية.

7. في تحديده الظاهرة الاجتماعية بالجبرية والتلقائية قد طمس بذلك فاعلية الإنسان وجعله عبدا لمصير مجهول ومعنى ذلك أن الناس يخرجون إلى العالم وهم لا يملكون إلا أن يكونوا سلبيين يقبلون علته". (29)

---

<sup>29</sup>- بيومي، مرجع سابق، ص ص 158- 159.

ثانيا: تجارب هاوثورن " إلتون مايو" ( Elton Mayo)

نبذة تاريخية عن التون مايو: (30)

هو جورج التون مايو مؤسس نظرية العلاقات الإنسانية التي جاءت كرد فعل على إهمال النواحي النفسية والاجتماعية، وهو عالم نفس واجتماع استرالي، ولد باستراليا في 26 ديسمبر، عمل كأستاذ محاضر بجامعة كوينزلاندر (1911-1923) ثم بجامعة بانسل فانيا، لكنه قضى معظم حياته المهنية في مدرسة الهاربارد للعالم (1923-1947).

أجريت تجارب هاوثورن التي تعرف أيضا بشركة ولسترن إلكتريك في دائرة الهاوثورن بمدينة شيكاغو في الفترة الممتدة (1927-1932)، تحت إشراف مشترك من بعض العاملين بالشركة وفريق من الباحثين بجامعة هارفارد بقيادة التون مايو.

وقد نشر تقرير البحث النهائي تحت عنوان الإدارة والأعمال 1939، لكن سبقه موجز بالنتائج ظهر قبل ذلك بعدة سنوات في كتاب مايو قدم عرضا مختصرا ومبسطا للنتائج، ظهر قبل ذلك بعدة سنوات في كتاب تحت عنوان المشكلات الإنسانية للحضارة الصناعية، مع أن مايو قدم عرضا مختصرا ومبسطا للنتائج، لكنه صاغها في منظور أوسع يوضح صلتها بمفهوم الانومي عند دوركايم وهو يرى أن الصناعة تحتاج إلى مستوى عالي من القدرات والمعارف الإدارية من اجل المحافظة على الاتصال والتعاون المطلوبين للكفاءة الإنسانية والسعادة الشخصية للإنسان".

### مفهوم العلاقات الإنسانية:

يرى العلماء أن العلاقات الإنسانية حصيلة الاتصال بين الفرد والمجتمع ففي الجوانب النفسية والاجتماعية التي تعمل على تنظيم علاقة الفرد بالآخرين والمجتمع. وتعمل على ضمان

30- صلاح التنواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976، ص360.

تكيف الفرد وتوازنه ليتمكن من أداء مهامه وأدواره بطريقة منتظمة ومنسجمة مع أنظمة المجتمع وقوانينه المختلفة.<sup>(31)</sup>

ولهذا بدأ العلماء في الحديث عن دور العلاقات الإنسانية في بلورة الإدارة الناجحة والقدرة على الاهتمام بمطالب الإنسان الشخصية والاجتماعية والمهنية وغيرها.<sup>(32)</sup> ولكنها بالمعنى السلوكي يقصد بها عملية تنشيط واقع الأفراد في موقف معين مع تحقيق توازن بين رضاهم النفسي وتحقيق الأهداف المرغوبة. ويقصد بها أيضاً الأساليب السلوكية والوسائل والأساليب التي يمكن بها استثارة دافعية الناس وحفزهم على المزيد من العمل المثمر المنتج وتركز العلاقات الإنسانية على الأفراد أكثر من تركيزها على الجوانب الاقتصادية أو المادية وهي ليست مجرد كلمات طيبة أو عبارات جميلة وإنما هي تشير إلى تفهم عميق لقدرات الناس وطاقاتهم ومكانياتهم وظروفهم ودوافعهم وحاجاتهم واستخدام كل هذه الظروف والعوامل لحفزهم للعمل وتوسعي لتحقيق هدف واحد في جو من التفاهم والتعاون والتعاطف والتحاب.<sup>(33)</sup>

كما يمكن تعريف العلاقات الإنسانية في مجال العمل بأنها مجال من مجالات الإدارة يعنى بإدماج الأفراد في موقف العمل بطريقة تحفزهم إلى العمل معا بأكثر إنتاجية مع تحقيق التعاون بينهم وإشباع حاجاتهم الاقتصادية والنفسية والاجتماعية، ويتضح في هذا أن للعلاقات الإنسانية ثلاثة أهداف:

1- تحقيق التعاون بين العاملين.

2- الإنتاج.

3- إشباع حاجات الأفراد الاقتصادية والنفسية والاجتماعية.

<sup>31</sup> -دائرة التوثيق التربوي، معلومات تربوية، مسقط:وزارة التربية والتعليم، 1999، ص52-53.  
<sup>32</sup> -محمد رضا البغدادي، ندوة الإدارة المدرسية تجديد وتجويد:ورقة العلاقات الإنسانية ودورها في تطوير الأداء،(د.م):دائرة الإشراف التربوي، 2000، ص302.  
<sup>33</sup> -محمد منير مرسي، الإدارة التعليمية:أصولها وتطبيقاتها، القاهرة:عالم الكتب، 1996، ص 117، 119.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

وعندما تتحقق الأهداف الثلاثة تكون النتيجة نجاح الجهد الجماعي والأفراد يعملون معا لهدف مشترك ودافع مشترك، ومن هنا تظهر أهمية العلاقات الإنسانية في نجاح المشروعات.

ويمكن القول أن حركة العلاقات الإنسانية قد ساهمت في إثراء الفكر التنظيمي وذلك بتوسيع مجالات اهتمامه فأصبح ينظر إلى اهتماماته، التنظيم الرسمي والغير الرسمي وكيفية تفاعلها، اثر الجماعات غير الرسمية والعلاقات التي تنشأ بينها داخل وخارج العمل، والمشروعات التنظيمية العليا والدنيا وعلاقات التفاعل بينهما والحوافز المادية والمعنوية وتأثيرهما المتبادل والمشارك على إنتاجية العمل.<sup>(34)</sup>

### نشأة نظرية العلاقات الإنسانية:<sup>(35)</sup>

ظهرت بفضل أعمال التون مايو الناتجة عن مجموعة من التجارب اشتهرت بإجرائها في مصانع وسترن إلكترونيك في هاوثورن 1924 - 1933، وقد كانت هذه التجارب تهدف إلى دراسة تأثير الظروف المادية للعمل على الإنتاجية، وجرت التجارب كلها على مجموعة من العاملات المتطوعات، وفي نهاية هذه التجارب اتضح أن كل التغيرات الطارئة، توصلت إلى نتائج مماثلة مفادها بان الزيادة في إنتاجية العاملات. لم تكن أسبابها في الظروف الفيزيائية للعمل، ومن ثمة استخلص مايو وزملاؤه بان الزيادة لم تكن نتيجة التغيرات الحادثة، وإنما نتيجة التجربة المقترحة، مفضلا العلاقات بين الأفراد، بتغيير سلوك المشرفين مما يغير بالضرورة العلاقات الاجتماعية وبالتالي سلوكات الأفراد.

وكانت هذه النتائج المذهلة تناقض تماما نتائج تايلور تبعد كل الاعتبارات السوسيونفسية، وتعتبر أن العمل لا يتمثل إلا في إبعاده التقنية البحتة.

<sup>34</sup>- صلاح التتواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976، ص497.

<sup>35</sup>- صلاح التتواني، المرجع السابق، ص520.

وجاءت بعد دراسات ونتائج مايو وزملائه، دراسات أخرى في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، دعمت هذه الفكرة وأكدت على أن عامل العلاقات الإنسانية يلعب دورا حاسما في المؤسسة، بزيادة إنتاجية العامل وإنتاج المؤسسة، ويعمل على الاستقرار الاقتصادي والنفسي الاجتماعي عند العامل".

**تجارب الهاوثورن: (36)**

إن شركة ولسترن إلكتروك أحد فروع الشركة الأمريكية للتيلوفونيك والتيليغراف وهي تصنع معظم المعدات التي تحتاجها الشركة الأم وأثناء القيام بالدراسة كانت نسبة كبيرة من قوة العمل، تتكون من الأجانب وأبناء المهاجرين وكانت نقابة العمال وقتها ضعيفة غير مؤثرة.

تتكون تجارب الهاوثورن من خمسة دراسات مستقلة، لكل منها منهجها وكلها تسلم نتيجة مؤداها أن إنتاج العمال يتحدد بدرجة كبيرة بطبيعة العلاقات الاجتماعية مع زملائهم من العمال والمشرفين وهذه التجارب الخمسة هي:

1- تجربة الإضاءة.

2- حجرات اختبار خط التجميع المتناوب.

3- تقسيم المجموعات إلى فرق.

4- برنامج المقابلات.

5- حجرات ملاحظة شبكة الأسلاك.

وسوف نذكر ثلاثة تجارب منها:

36- عبد الله محمد اسعد وليلى إبراهيم العريان، العلاقات الإنسانية، وزارة التربية، الكويت، 1979-1980، ص ص 15-16.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

1- تجربة الإضاءة: أجريت هذه التجربة من قبل على يد مسؤولي الشركة قبل وصول فريق جامعة هارفارد، وظفت هذه التجارب بغرض الكشف عن العلاقة بين الإضاءة والكفاية الإنتاجية لمردودية العمال.

وتم في التجربة الأولى زيادة الإضاءة، بدرجات بطيئة في ثلاثة أقسام تؤدي مهام مختلفة وتبين في قسمين من هذه الأقسام أن الكفاية تزيد بتحسين الإضاءة في حين لم يظهر أي تأثير في القسم الثالث".

2- التجربة الثانية:<sup>(37)</sup> تم اختيار مجموعة واحدة لتعمل في إضاءة متغيرة ومن ثمة مقارنتها بمجموعة ضابطة تعرضت إلى نفس الإضاءة ثابتة وكانت النتائج مفاجئة حيث زادت الإنتاجية في المجموعتين معا.

3- التجربة الثالثة: وبغرض عرض الضوء الطبيعي، تم تعريض مجموعتين إلى إضاءة صناعية، ومن ثمة تخفيض مستوى الإضاءة بتدرج في حجرة المجموعة التجريبية وتبين للمرة الثالثة أن إنتاجية المجموعتين تزيد بنفس المعدل تقريبا، ولم ينخفض الإنتاج إلا بعد أن قام الباحثون بتخفيض الإضاءة في المجموعة التجريبية إلى مستوى ضوء القمر بحيث لم يعد يستطيع العمال رؤية المواد التي يعملون بها إلا بصعوبة.

وقد تبين من هذه التجارب تؤثر تأثيرا ضئيلا في الإنتاج والزيادة الملحوظة في الإنتاج لآبد أن ترجع إلى عامل آخر لم يعمل حسابه هو العامل الإنساني لان الاهتمام الشخصي الذي ناله العمال مع البرنامج كان له تأثير في تغيير حالة اللامبالاة والمسافة الاجتماعية في علاقاتهم الطبيعية مع الإدارة، وفي هذه الحالة دفعهم اهتمام الإدارة إلى العمل الجاد وبالتالي زاد الإنتاج، بغض النظر عن مقدار تحسن في ظروف العمل المادية التي احدثت بها التجارب.

<sup>37</sup>- عبد الله محمد اسعد، مرجع سابق، ص ص 19-20.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

تجربة المقابلات: برنامج تجريبي للمشرفين، كشف عن نفس المعلومات تحول الروح المعنوية في حجرة الاختبار وكان هذا البرنامج يتألف من مرحلتين:

أ-مرحلة استطلاعية: أجريت في أحد فروع الشركة من سبتمبر 1927-1929.

ب-المرحلة الثانية: برنامج متصل قام بحوالي 20000 مقابلة مع العاملين في الشركة لمدة عامين 1929-1931، وقد توقف البرنامج 1931، نظرا للانخفاض المماثل لنشاط الإنتاج مما أدى إلى تعثر التجارب ليعود البرنامج مرة أخرى في 1936".

"ليصبح من الخصائص الدائمة للإدارة العمالية في مصانع الهاوثورن تحت اسم الإرشاد العمالي.

في بداية البرنامج اعد القائمون في المقابلة قائمة بالموضوعات التي اعتقد وانها ترتبط بالروح المعنوية مثل التدفئة، التهوية، التخزين، وفرص الترقية...الخ، ونظرا لصعوبة إلزام المبحوثين بهذه المواضيع لجا الباحثون إلى المقابلة الغير الموجهة وترك للمبحوثين حرية اختيار الموضوعات، مما استدعى زيادة وقت المقابلة وطول التقرير وقد تبين أن إتاحة الفرصة للحديث مع الباحث غير من النتائج خلال ساعات العمل وإتاحة الفرصة للكشف عن المشكلات الشخصية بسرية تامة.

3-حجرة ملاحظة شبكة الأسلاك: اشتملت التجربة الأخيرة على دراسة تفصيلية لموقف معلمي من وجهة نظر علم الاجتماع وكان الهدف من تصميم هذه التجربة الكشف عن آثار التفاعل الاجتماعي على سلوك العمال، ومع تقديم هذه الدراسة بدا في التركيز على تقييد الإنتاج التي تمارسها جماعة الأصدقاء المنظمة تنظيم غير رسمي، وقد أخذت مجموعة من العمال الذكور من القسم الذين يعملون فيه ووضعوا تحت الملاحظة في حجرة مستقلة ليستمروا في أداء نفس العمل فكان عملهم هو توصيل أسلاك خطوط لوحة مفاتيح التليغراف وتتكون هذه المجموعة من 14 رجل، 9 عمال يوصلون الأسلاك و3 لحامين، و2 من

المفتشين بالإضافة إلى ملاحظتهم وضبط سلوكهم ضبطا دقيقا، استمرت هذه التجربة من نوفمبر 1931 إلى ماي 1932 وقد ظلت أجور العمال وساعات العمل على حالها، وكان نظام حوافز الأجر يضع معيار قدرة توصيل 7200 توصيلة غير أن العمال وقفوا عند 6600 توصيلة في اليوم ومن هنا ظهر بما يعرف بالتنظيم الغير الرسمي".

### حركة العلاقات الإنسانية:

كان ظهور حركة العلاقات الإنسانية في الثلاثينات رد الفعل لحركة الإدارة العلمية لتايلور التي تجاهلت العامل الإنساني بالنسبة للعاملين ونظرت إليهم نظرة مادية بحتة مجردة من أي اعتبار للعوامل الإنسانية. ووجه كثير من الباحثين والكتاب المهتمين بالنقد لحركة الإدارة العلمية وأولوا اهتماما بأفكار العلماء السلوكيين وكانت أهم شخصية بارزة ومؤثرة في مجال العلاقات الإنسانية هي شخصية إلتون مايو. وبدأ إلتون مايو فيلسوفا اجتماعيا فيما توصل إليه بالنسبة للتحضر الصناعي وذهب بالقول بأن التصنيع والتخصيص قد ترتب عليها تدهور نفسي للفرد وعبر عن قلقه بالنسبة لتجاهل الجانب الإنساني في المجتمعات الصناعية الكبرى في المجتمع التكنولوجي وكان لحركة العلاقات الإنسانية تأثير كبير على ميدان الإدارة والعاملين فيه وجذب اهتمام المديرين والمسؤولين إلى أهمية الجانب الإنساني في العملية الإدارية وبدأ الاهتمام بالروح المعنوية للعاملين، وهكذا بدأت حركة العلاقات الإنسانية تخضع لكثير من النقد واهتمت المؤسسات الصناعية بالجانب الإنساني للعاملين مما ساهم في زيادة إنتاجهم في العمل بشتى أنواعه.<sup>(38)</sup>

ولقد بدأ الاهتمام بحركة العلاقات الإنسانية في الإدارة بعد النتائج التي توصل إليها فريق من العلماء يرأسهم إلتون مايو من تجارب هوثورن في شركة الكهرباء الغربية بالولايات المتحدة. فقد حاول الباحثون في هذه التجارب إيجاد العلاقة بين إنتاجية العمال وكثافة الإضاءة ووجد كذلك أن الروح المعنوية والانسجام بين العمال وشعورهم باهتمام المسؤولين بسبب إجراء

38 -محمد منير مرسى، الإدارة المدرسية الحديثة، القاهرة: عالم الكتب، 1995، ص24، 23

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

التجارب عليهم كانت جميعا من أسباب ارتفاع الإنتاجية. وقد جاءت بعدها دراسة العلاقة بين الإنتاجية وعوامل أخرى مثل:

\*الراحة التي تعطى للعمال ورفع الأجور فكانت تشير إلى زيادة الإنتاجية.

وقد نتج عن تجارب مايو إحساس بأهمية المبادئ الإنسانية التي ولدت في 1920 لأول مرة. ولذلك فإن العلاقات الإنسانية في الإدارة قد:

\*أثبتت أن السلوك الإنساني موضوع متشابك معقد فيزداد التعقيد عندما يعمل الإنسان في مجموعات صغيرة.

\*أغنت الباحثين فهمهم للسلوك الإنساني وأكدت أهمية الظروف الاجتماعية والنفسية في زيادة الإنتاج.

\*بينت أثر الجو الإشرافي على سلوك مجموعات العمل.

\*بينت أن الأفراد العاملين في وحدة إدارية أو إنتاجية يكونون على اتصال دائم ببعضهم بعض.

\*وبالرغم من أن حركة العلاقات الإنسانية قد وضعت حدا كبيرا لما كان يعاني منه المرؤوسون من سوء معاملة وتسلط وإهمال لمشاعرهم واعتبارهم كآلة إلا أن حركة العلاقات الإنسانية ذاتها قد واجهت نقدا شديدا واعتبرت من وجهة نظر أخرى وسيلة لاستغلال الموظفين بالإضافة إلى سوء استغلال المرؤوسين لها على حساب الإنتاج.<sup>(39)</sup>

وقد توصلت تجارب هوثورن إلى النتائج التالية:<sup>(40)</sup>

1- ميل الأفراد العاملين في وحدة إنتاجية واحدة إلى تكوين تنظيمات غير رسمية فيما بينهم.

<sup>39</sup> --يعقوب نشوان، الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار الفرقان، 1986، ص17-19.

<sup>40</sup> - بدر، مرجع سابق، ص 289.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

2- تأثر تصرفات الأفراد داخل التنظيم بالإطار الذي ترسمه لهم الجماعة.

3- أن الحوافز المعنوية تقوم بدور حيوي في تحفيز الأفراد للعمل.

4- إن طاقة الفرد للعمل لا تتحدد طبقاً لطاقته الفسيولوجية وإنما أيضاً طبقاً لطاقته الاجتماعية من حيث شعوره بالرضا والتفاهم القائم بينه وبين رؤسائه من ناحية، ودرجة التعاون مع زملائه في العمل من ناحية أخرى.

5- دور القيادة غير الرسمية في التأثير على سلوك الأفراد داخل التنظيم من حيث تكوين الجماعات ونمط العلاقات بينهم.

وباختصار فإن أبحاث وسترن إلكتريك تعد في الواقع بمثابة عودة التفكير السليم إلى علاقات العمل، ويرجع ذلك للأسباب التالية:

1- إن هذه التجارب قد أثرت الفكر الإداري بعدد من الفروض والآراء والأفكار التي أسهمت في دراسة وتفهم المواقف الإنسانية والسلوكية في محيط الأعمال.

2- أن هذه التجارب قد مهدت السبيل لظهور منهج جديد في التفكير، وهو المنهج السلوكي الذي يمكن من خلاله اكتشاف المشكلات الإنسانية المعقدة والتعرف على أساليب علاجها.

3- أن هذه التجارب قد ساعدت في إلقاء الضوء على المتطلبات الأساسية الواجب توافرها لخلق التعاون الفعال بين الإدارة والعمال، فالعمال ليسوا أفراداً منعزلين بعضهم عن بعض الآخر ولا يمكن النظر إليهم كوحدات متفرقة، فهم يشكلون جماعة واحدة، ويتعاونهم وتضافرهم وحماسهم في عملهم يتحقق الهدف الذي يسعى إليه التنظيم.

ومن هذا المنطلق يتضح أن دراسة إلتون مايو تعتبر أول دراسة تعنى بالسلوك الإنساني في التنظيم، كما تعتبر في الوقت نفسه أولى المحاولات العلمية الجادة والعملية لتفسير أثر السلوك الجماعي على محيط العمل، وضرورة مراعاة الإدارة للعنصر البشري ليس فقط من

النواحي المادية، وإنما أيضاً من النواحي النفسية والاجتماعية، فقد أسهمت هذه التجارب في نشر الاهتمام بالعلاقات الإنسانية في مجال العمل، مما أدى إلى كثير من أنواع التغيير في الممارسة الإدارية خلال الثلاثينات من هذا القرن ومن الآثار العلمية نذكر ما يلي:

1- ظهرت لأول مرة إدارة مهمة في المشروعات تسمى " إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية" تتولى الاهتمام بحسن استخدام الموارد البشرية المتاحة والعمل على رفايتها وحل مشكلات العاملين، بل وصل الأمر إلى حد وجود أقسام للتحليل النفسي داخل هذه الإدارات.

2- بدأت الإدارة العامة والخاصة تعترف بحق العاملين في الحصول على إجازات سنوية وبدأت ساعات العمل الأسبوعية تنخفض تدريجياً حتى وصلت الآن إلى أربعين ساعة أسبوعياً في معظم دول العالم.

3- بدأ الاعتراف بحقوق العمال في الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية فتقررت وجبات العاملين "خاصة في المصانع والمناجم" وساعة للراحة وتقرر علاج العاملين مجاناً ورعايتهم صحياً والتأمين عليهم.

4- بدأ تدريب الرؤساء والمشرفين على مراعاة أصول العلاقات الإنسانية والمعاملة الحسنة للعاملين معهم حتى ترتفع روحهم المعنوية وتزيد قابليتهم للتعاون.

والنتائج التي آلت إليها هذه النظرية ومنها:<sup>(41)</sup>

1- أن هذه المدرسة لم تقدم نظرية كاملة ولا شاملة لتفسير ظاهرة التنظيم والسلم التنظيمي بل إنها ركزت اهتمامها على دراسة جانب واحد من جوانب التنظيم المتعددة وهو العنصر البشري، فالتنظيم عبارة عن وحدة اجتماعية مركبة يتفاعل فيها جماعات العمل الاجتماعية، وقد صورت مدرسة العلاقات الإنسانية تلك الجماعات الاجتماعية على أنها متماثلة ومتحدة الهدف والغاية. ولكن الواقع يشير إلى أنه حيث توجد بعض المصالح المشتركة بين جماعات

<sup>41</sup>- بدر، مرجع سابق، ص 296.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

العمل الاجتماعية من الناحية الاقتصادية مثلاً، فإن هناك أيضاً مصادر للاختلاف والتناقض بينها. ومن الجائز أن تتعاون تلك الجماعات في بعض مجالات العمل، إلا أنه من المستبعد تماماً أن تنصهر جميعاً وتصبح أسرة واحدة سعيدة كما يتخيل أنصار حركة العلاقات الإنسانية.

2- أن هذه المدرسة تفترض وجود تناقض واضح بين مصالح مجموعتين من أعضاء التنظيم وهما مجموعة العمال ومجموعة الإداريين، بينما تقتضي تحقيق أهداف التنظيم التكامل بين هاتين المجموعتين.

3- أن تركيز نظريات العلاقات الإنسانية على أن إنشاء جماعات العمل وإتاحة الفرصة لها للتفاعل يجعل جو العمل أكثر ملائمة للعامل، ولكن ذلك بالقطن لن يقلل من جهد العامل في عمله أو يغير من طبيعة العمل الذي يقوم به، فتلك أمور موضوعية لن تتأثر بالجوانب الاجتماعية للعمل. بل إن التجارب أثبتت أن جماعة العمل الأكثر سعادة ليس بالضرورة أكثر إنتاجية.

4- أن حركة العلاقات الإنسانية بتركيزها على جماعات العمل باعتبارها عائلة سعيدة وبأن المصنع أو مكان العمل هو مصدر الرضا الأساسي للعامل إنما تتغافل عن واقع التفاعل الاجتماعي للأفراد والجماعات وما يحتويه من تصارع وتنافس ومحاولة للسيطرة والتسلط، وبالتالي فإنها تعطي تصويراً خاطئاً للتنظيمات الفعلية. وأكثر من هذا أن الصراع الإنساني في تنظيمات العمل قد يعتبر مصدراً للتجديد والابتكار والإبداع حيث يحاول كل عضو أن يتميز على الآخرين، كما أن الصراع بين الإدارة والنقابات كان عاملاً حاسماً في سبيل التطوير الفني والإنتاجي كما كان عاملاً أساسياً في تحسين أحوال العمال. وبذلك فإن الصراع الذي تعتبره مدرسة العلاقات الإنسانية أمراً غير مقبول قد يمثل في الواقع متغيراً أساسياً من المتغيرات المحددة لكفاءة ونجاح العمل التنظيمي.

5- أن حركة العلاقات الإنسانية في تركيزها على دراسة التنظيم غير الرسمي تغفل أهمية التنظيم الرسمي ولا توضح أثره في تشكيل سلوك أعضاء التنظيم.

6- أن حركة العلاقات الإنسانية إذ تركز على الحوافز والمكافآت غير المادية إنما تتجاهل أثر الحوافز المادية وهي بذلك تفقد عنصراً مهماً من عناصر تفسير السلوك الإنساني في تنظيمات العمل.

ومما هو جدير بالذكر أن دراسة إلتون مايو قد فتحت الطريق أمام العلماء والباحثين الاجتماعيين والسلوكيين والإداريين إلى مزيد من الدراسات العلمية التجريبية لمعرفة آثار الممارسات الإدارية المتخلفة على العنصر البشري.

ولكن البعض يرى أن مدرسة العلاقات الإنسانية جاءت كرد فعل للمدرسة الكلاسيكية في الإدارة والتي ركزت فقط على الإنتاجية، وأغفلت العامل الإنساني، فهي إذن نتيجة منطقية لسلبيات نظرية البيروقراطية والإدارة العلمية وهي أيضاً نمو طبيعي في الفكر الإداري لا يكتمل إلا به. فبينما تركز النظرية البيروقراطية ونظريات التقسيم الإداري على الجانب الهيكلي، وتركز المدرسة العلمية على الجانب الإجرائي، فإن مدرسة العلاقات الإنسانية تركز على جانب مهم ومكمل للجوانب الأخرى وهو الإنسان، وبذلك تعتبر هذه المدرسة إضافة جديدة وليست بديلاً للمدارس التي سبقتها.

### نتائج تجارب الهاوثورن: (42)

1- ميل الأفراد العاملين في وحدة إنتاجية واحدة إلى تكوين تنظيمات غير رسمية فيما بينهم.

2- تأثر تصرفات الأفراد داخل التنظيم بالإطار الذي ترسمه لهم الجماعة.

3- الحوافز المعنوية تقوم بدور حيوي في تحفيز الأفراد إلى العمل.

42- ناصر داداي عدون، المؤسسة الاقتصادية، دار المحمدية العامة، الجزائر، 1998، ص10.

4- إن طاقة الفرد للعمل لا تتحدد طبقا للطاقة الفسيولوجية وإنما أيضا طبقا للطاقة الاجتماعية من حيث شعوره بالرضا والتفاهم القائم بينه وبين رؤسائه من جهة، ودرجة التعاون مع زملائه في العمل من ناحية أخرى.

5- دور القيادة غير الرسمية في التأثير على سلوك الأفراد داخل التنظيم من حيث تكوين الجماعات ونمط العلاقات بينهم.

وباختصار فإن أبحاث ولسترن إكترنك في الواقع بمثابة عودة التفكير السليم إلى علاقات العمل ويرجع ذلك للأسباب التالية:

1- أن هذه التجارب قد أثرت الفكر الإداري بعدد من الفروض والآراء والأفكار التي ساهمت في دراسة وتفهم المواقف الإنسانية والسلوكية في محيط الأعمال.

2- إن هذه التجارب قد مهدت السبيل لظهور منهج جديد في التفكير، وهو المنهج السلوكي الذي يمكن من خلاله اكتشاف المشكلات الإنسانية المعقدة والتعرف على أساليب علاجها".

**الانتقادات التي وجهت لتجارب الهاوثورن:**(43)

1- جاءت دراسة هاوثورن الشهيرة التي أجراها مايو في فترة زمنية محددة تاريخية لم تكن قد بلورت فيها معالم المشكلات الصناعية بعد، لاسيما دراستها لطبقة العمال نظرا لان معظمهم كانوا من الجيل الأول والثاني من المهاجرين الريفيين إلى المدن الصناعية، فجاءت انطباعاتهم غير واقعية عن وضعهم في مؤسساتهم ورأيهم في قياداتهم الذين تشكلوا مسبقا في نوعية الولاء والانتماء لهؤلاء العمال نحو مصانعهم وقدراتهم.

43- ناصر داداي عدون، مرجع سابق، ص ص 13-14.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

2- لم تعطي اهتمامات أصحاب نظرية العلاقات الإنسانية أي نوع من الأهمية لوجود الصراع بين الأفراد والجماعات داخل مؤسسات الإنتاج والعمل أو لظهور أنماط من الاتصال السلبي والإشراف الإداري غير المتخصص.

3- ركزت على أهمية الإشباع داخل المؤسسات الصناعية وذلك عن طريق خلق نوع من الانتماء نحو العمل والجماعة وظهور التنظيمات الغير الرسمية دون التركيز على أبعاد اقتصادية مثل: انساق المكافأة وزيادة الأجور وتوزيع الدخل والأرباح.

4- التركيز على دراسة التكامل والتوازن بصورة مستمرة ولم يتم التركيز على انساق اللاتكامل واللاتوازن، أي سارت على نفس خط الاتجاه التأثير الإيديولوجي للنظريات الرأسمالية الغربية، وذلك بنظرتها لتحقيق التعاون والانسجام دون دراسة التنافس والصراع عامة".

ثالثا: ميدلتاون لروبيرت ليند

نبذة تاريخية عن روبرت ليند: (44)

روبرت ليند ولد في 27 سبتمبر 1882 توفي في أول نوفمبر 1970، عالم اجتماع أمريكي هو أستاذ في جامعة بلومبيا في نيويورك وقد اشتهر روبرت ليند وزوجته من خلال مؤلفاته في ميدلتاون تلقى روبرت ليند تعليمه ليصبح كاهنا في الكنيسة الكلونتانية وفي أوائل العشرينيات قام هو وزوجته بمسح على الأنشطة والممارسات الدينية في المجتمع المحلي الأمريكي، وكان المكان الذي اختاره هو مونسي بولاية انديانا وهي مدينة صناعية صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالي 40 ألف نسمة، وقد أطلق على هذه المدينة اسم مستعار وهو ميدلتاون.

وكان كتاب ميدلتاون أول كتب علم الاجتماع التي أصبحت من الكتب الأكثر مبيعا حيث حظيت بمناقشات خاصة في أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا ما جعل كتبه مشهورة بين عشية وضحاها فقد حصل ليند بسبب إسهامه في هذا العمل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا وعين أستاذ لعلم الاجتماع عام 1931.

**دراسة روبرت ليند وزوجته لميدلتاون:**

وقد نجد في دراسة "الميدلتون" أنموذجا واضحا لهذا التوجه المنهجي الجديد، إذ ذهب (روبرت وهيلين ليند) Robert and Helen Lynd إلى مدينة "مونسي" Munice بولاية "انديانا" ليقدمان بعد أن مكثا في مونسي ثمانية عشر شهرا، تحليلا مفصلا للحياة الاجتماعية، ولشريحة صغيرة من المجتمع الأمريكي، وكان الهدف من ذلك وضع تصور سوسيولوجي عن المجتمع المحلي، مركزين على ست مظاهر للحياة الاجتماعية (نوع العمل، حياة الأسرة، تربية الطفل، الدين، نشاط المجتمع المحلي، نشاطات وقت

44- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص133.

الفراغ). وبعد مضي ما يقرب من عشرات سنوات من دراسة روبرت وليند، عادا إلى مدينة مونسي، ليوضحا كيف تغيرت المدينة الصغيرة، لاسيما بعد أزمة الثلاثينيات، فاصدرا مرة أخرى " الميدلتون " بصيغته الانتقالية سنة 1937، وقد أوضحا لنا أم هنالك متغيرا جديدا حظي باهتمام تلك الفترة، إذ تركزت الدراسة أعلاه على توزيع القوة، والتأثير داخل المجتمع المحلي. كما أوضح الباحثان، كيف أن السلطة الاجتماعية والسياسية تركزت في أيدي أسرة معينة كانت تسيطر على الحياة الاقتصادية وعلى العمالة المحلية في المدينة، ليكون هذا الاهتمام لاحقا دافعا نحو توجه دراسات المجتمع المحلي للمحاور السياسية.

أن دراسة الميدلتاون، كانت حافزا لدراسات مثيلة في هذا الإطار، إذ نلاحظ نفس الإجراءات المنهجية التي استخدمت في الدراسة أعلاه. فقد طبقت في دراسة مدينة " اليانكي سيتي " Yankee City لمؤلفها لويد وارنر Loyd Warner مع فريق من الباحثين في مدينة بلغ عدد سكانها (19,000) نسمة، لكن هذه الدراسة لم تحظى بالقبول الأكاديمي الكبير؛ لان لويد وارنر استخدم متغير ( الطبقة ) ليتخذها معيارا أحاديا في وصف كل مظاهر الحياة الاجتماعية ، وهو عكس ما قام به روبرت ليند من استخدامه لعدة متغيرات في وصف حياة المدينة ، وعموما فان وارنر ركز على تناقضات بسيطة وسطحية ، ما بين الطبقات الاجتماعية المختلفة في المدينة<sup>(45)</sup> .

ومن الدراسات الشبيهة في هذا الإطار، تلك الدراسة التي قدمها ميشيل يونج Young وبيتر ويلموث Willmoth الأسرة والقربية في شرق لندن سنة 1957 ، وقد أشار الباحثان في بحثهما " الطبقة العاملة التقليدية في بنثال جرين " عدم ملائمة المبررات التقليدية والمتداولة حول التحول والانتقال إلى نمط الأسرة النووية في المجتمعات الصناعية . فمع هذا التطور الصناعي بقيت العائلة الممتدة، ولكن في شكل معدل، تكون السلطة فيها للام وعلاقتها بابنتها مما أدى إلى ظهور ما يسمى بـ (مجتمع محلي امومي) ارتكز على دور الأم في

45 - محمد علي محمد، علم اجتماع التنظيم، ج/1، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979)، ص155-156

مساعدة ابنتها، لاسيما في مجال تربية الطفل<sup>(46)</sup>. هذا ويوضح (Thorstein Verblen) في نظريته عن الطبقة المترفة، إن نشوء هذه الطبقة ازداد مع تطور المجتمع الصناعي، إذ يرى أن في المدينة الصناعية المتطورة يصبح استعراض سلطان المال، وبالتالي بلوغ حسن السمعة والمحافظة عليها، هي الفراغ والاستهلاك الواضحين واللذين يميزان حياة المدينة. وعلى هذا الأساس، يرى أن الفراغ والاستهلاك من الوسائل المحببة إلى الناس من أعلى درجات السلم الاجتماعي إلى أدنى درجة. إن هذا الخضوع للفراغ والاستهلاك المظهري لطبقات المجتمع، إنما فرضته حياة المدينة على الأفراد<sup>(47)</sup>.

أما إذا انتقلنا إلى أمريكا، فإننا سنجد باحثيها اهتموا بنفس الموضوعات السابقة تقريبا، إذ نرى هيربرت جانز Gans أجرى دراستين حول الحياة الاجتماعية في إحدى الضواحي، كضاحية " الليفتون " Levittion ليوضح لنا أن حياة الأسرة تشكل محور الارتكاز في الضاحيتين، ويعزو سبب توسع الضاحية إلى دور الطبقة الوسطى في ذلك، خاصة في تربية أطفالها. هذا وقد أوضح جانز وجود العلاقات القرابية الوثيقة عند القرويين لاسيما الجماعات الإيطالية، وهي تعد أهم الموجهات للحياة الاجتماعية في الضاحية، إلى جانب انه استطاع أن يقدم لنا طريقة جديدة للحضرة خلافا لـ (ويرث) موضحا أن هناك علاقة وثيقة بين السياقات الفيزيقية خاصة السياقات السكنية والجوار، وطرق الحياة السائدة فطريقة جانز، تعبر عن الملائمة مع الإقامة والعيش في الضواحي.

وسيرا على خطى دراسات المجتمع المحلي، جاءت اهتمامات أكاديمية جديدة، لتسلط الضوء على الحكومة المحلية، وكان الدافع إلى ذلك هو حركة إصلاح المجالس البلدية، إلى جانب التطور الحاصل في مجال العلوم السياسية والسلوكية. وفي هذا السياق، ظهرت دراسة فلويد هانتر Hunter سنة 1952 عن أشكال التأثير السياسي والاجتماعي في مدينة أتلانتا بولاية

<sup>46</sup> . See: M. Young & p. Willmott.

<sup>47</sup> . ثورشتاين فيبلن ، الطبقة المترفة ، ترجمة : محمود محمد موسى ، مراجعة : د. ابراهيم سعد الدين ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون سنة ) ، ص 58-59

## مطبوعة: الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

جورجيا، إذ كان عدد سكانها وقت الدراسة (500,000) نسمة، وكان هدفه هو التركيز على العمليات السياسية المحلية، خلافا للدراسات السابقة التي ركزت على الأسرة والقرابة. وأوضح هانتر كيف أن القوة كانت في أيدي الصفوة الاجتماعية والاقتصادية بالمدينة، وليس بيد النخب المحلية. وبالتالي فقد أفرزت لنا هذه الدراسة حقلا جديدا من الاهتمام تمثل في ضرورة دراسة السياسات الحضرية<sup>(48)</sup>.

وفي الوقت الذي أشار إليه هانتر إلى موضوعه السيادة السياسية، برز على النقيض من ذلك روبرت دال Dahl ليشير إلى تشتت وتنوع بناءات القوة في المجتمع المحلي، وهذا ما نفهمه على الأقل من عنوان كتابه " من الذي يحكم " Who Governs وكان ذلك في سنة 1961، فقد وجد في مدينة نيو هافن أن الصفوة الاجتماعية والاقتصادية لم تكن مهتمة بسياسات المجتمع المحلي، بمعنى أن هناك تعددية في امتلاك القوة<sup>(49)</sup>.

إذن تنظيم المدينة لا يصح أن ينظر إليه فقط بأنه انعكاس للطبيعة البشرية - كما أشار بارك — وإنما يجب أن نربط هذا التنظيم بوصفه يعكس لنا أنماطا متنوعة من المصالح السياسية وبناءات السلطة، وبالتالي فالبيئة الحضرية نتاج العمليات الاجتماعية والسياسية، ولنقل أيضا العمليات الأيكولوجية.

### أهم دراسات ميدلتاون: (50)

سرعان ما تجاوزت دراسة ميدلتاون هدفها الأصلي والمتمثل في دراسته الأنشطة والممارسات الدينية داخل الكنيسة اتسعت لتغطي جميع الجوانب الأساسية للحياة الاجتماعية المنظمة تحت ستة عناوين وهي:

#### 1-كسب القوات.

<sup>48</sup> . F.Hunter,pp.1-5

<sup>49</sup> . R.Dahl,pp.1-11.

<sup>50</sup> - محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ص 133 - 134.

2- تأثيث المنزل.

3- تنشئة الصغار.

4- استخدام وقت الفراغ.

5- المشاركة في الممارسات الدينية.

6- المشاركة في أنشطة المجتمع المحلي.

وتنقسم كل من هذه الأقسام إلى أقسام أخرى فعلى سبيل المثال نجد أن مناقشته أنشطة المجتمع المحلي في ميدلتاون، شملت وسائل الإدارة الحكومية والمحافظة على الصحة ورعاية المعوقين والحصول على المعلومات والعوامل المفضية إلى تضامن الجماعة.

كما قام ليند وزوجته بفتح مكتب محلي لجمع البيانات لمدة استغرقت 18 شهرا وخلال تلك الفترة شارك ليند وزوجته قدر الإمكان في جميع جوانب المجتمع المحلي، وعمد التقرير النهائي للبحث على مزيج من البيانات الرسمية والانطباعات الغير الرسمية وقامت الدراسة على مقارنة دقيقة بين ميدلتاون المعاصرة 1924- 1925 وميدلتاون من جيل مضى 1890.

إضافة إلى الدراسة السابقة اكتشف كل من ليند وزوجته ظواهر سلبية للحياة في ميدلتاون الأولى تغاضيا عنها أو ورها بدرجة اقل من الواقع ففي مناقشة الدعارة أو بحث الدراسة الأولى انحصارها ووجود بيتين أو ثلاثة يمارسونها في الخفاء وبعد 10 سنوات اكتشفت ميدلتاون وزوجته إن ميدلتاون في 1925 كانت تمثل مركز للدعارة بإقليم كبير وأنهما فشل في ملاحظة وجود منطقة أو حي للبعاء بجانب حي الأعمال كما أصبح ليند وزوجته على دراية بان نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون في مساكن مقترنة، لا توجد بها مياه نقية أو تدفئة كافية وان إدمان المسكرات كان منتشرًا في 1925، كانت تمثل مركز للدعارة بإقليم

كبير وأنها فشل في ملاحظة وجود منطقة أو حي لبغاء بجانب حي الأعمال، كما أصبح ليند وزوجته على دراية بان نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون في مساكن مقترنة لا توجد بها مياه نقية أو تدفئة كافية وان إدمان المسكرات كان منتشرًا في 1925، وان التعصب ضد الزوج كان يمثل مرض مستعصي وان الصحافة المحلية كانت تتعرض لمناورات، وان الماء كان ملوث بدرجة خطيرة.

كما أعاد ليند وزوجته النظر حول البناء الطبقي ليأخذ بعين الاعتبار دور الأسر ذات النفوذ التي كانت تمتلك صناعة محلية، والتي كانت تمارس نوعًا من السيطرة على المجتمع المحلي من خلال علاقتهما الإستراتيجية مع البنوك والمكاتب القانونية ومجلس التعليم والجمعيات الخيرية والكنائس والصحافة والأحزاب السياسية وقد عزز الكساد هذه السيطرة".

**أهم الأدوات التي استخدمها كل من ليند وزوجته في جمع المعلومات: (51)**

-استخدم الملاحظة بالمشاركة.

- القيم بفحص البيانات الوثائقية.

- جمع الإحصاءات.

- إجراء المقابلات.

- الاستعانة بالاستبيانات.

ومن بين الوثائق المكتوبة نجد:

-سجلات المدينة والإقليم.

- ملفات المحاكم.

<sup>51</sup>- تيودور كابلوف، البحث السوسولوجي، دار الفكر الجديد، بيروت، 1979، ص31.

- سجلات المدارس.

- تقارير الولاية وكتبها السنوية.

- محاضر الاجتماعات.

- الأحداث المحلية.

- الخرائط.

وغيرها من الوثائق.

**أهم نتائج الدراسة: (52)**

من النتائج الأساسية للدراسة الأولى للانقسام الحاد للمجتمع المحلي إلى طبقة رجال الأعمال التي تحصل على معظم دخلها من العمل مع الناس وطبقة العمال التي تحصل على معظم دخلها من العمل على الأشياء، وتختلف هاتان الطبقتان، اختلافا حادا بدرجة تفوق ما يدرسه أعضاؤها، ويتضح هذا الاختلاف في فرص الحياة، ونظام المعيشة اليومي "الروتين اليومي" والعلاقات الأسرية.

كما تأثر هاتين الطبقتين بالتغير الاجتماعي بدرجة غير متكافئة، كما كان الصغار أكثر استجابة لهذا التغير الاجتماعي من والديهم، وكانت النساء أكثر استجابة له من الرجال خاصة في طبقة رجال الأعمال.

كان هناك نوع من التدرج فيما يتعلق بسرعة التغير الاجتماعي في النظم الاجتماعية الستة، إذ كان التغير أكثر سرعة في النشاط الاقتصادي يليه وقت الفراغ، والتعليم وأنشطة المجتمع المحلي، والأنماط الأسرية والدين النظامي على هذا الترتيب.

<sup>52</sup>- تيودور كابلوف، المرجع السابق، ص 32-34.

لقد كان تحقيق هذا التوازن عام 1925 أسهل إلى حد ما على الرجال في طبقة رجال الأعمال مقارنة بالعمال، على الرغم من اهتزاز ثقتهم نتيجة الرغبة في التغيير من جانب زوجاتهم والتمرد من جانب أطفالهم في طور المراهقة.

وفي عام 1935 كانت ميدلتاون قد بدأت تصحح وضعها الناتج عن انهيار الصناعة والبطالة وتعطل التقدم الاقتصادي للمجتمع المحلي تعطلا كاملا، وأصبح حوالي ربع الأسر يعيش على المساعدات العامة، وانخفضت أعداد الزيجات والولادات وانتشار الحركة النقابية بين العمال، والصراعات الكامنة في القيم داخل مجتمع الميدلتاون.

والاهم من ذلك إن ليند وزوجته أعاد النظر في وجهة نظرهما السابقة حول البناء الطبقي ليأخذ في الاعتبار دور الأسر ذات النفوذ التي كانت تمتلك الصناعة المحلية الرئيسية، والتي كانت تمارس نوعا من السيطرة على المجتمع المحلي برمته من خلال علاقتهما الإستراتيجية مع البنوك الرئيسية، والكنائس والصحافة والجمعيات الخيرية.

أدرك ليند وزوجته وجود طبقة عليا ناشئة تتكون من رجال الصناعة الأثرياء، وأصحاب البنوك والمديرين المحليين للشركات الوطنية، ويقسمان طبقة رجال الأعمال إلى طبقة وسطى عليا مؤلفة من أصحاب المصانع والتجار وأصحاب المهن الفنية المتخصصة، والمديرين التنفيذيين.

وطبقة وسطى دنيا تتألف من صغار باعة التجزئة والعمالين بالخدمات.

كما يقسمان الطبقة العاملة إلى الارستقراطية العمالية، المكونة من رؤساء العمال والحرفيين والعمال المهرة، والطبقة الدنيا المكونة من العمال غير المهرة والعمال الذين يعملون بصفة عرضية أو مؤقتة والكثير من هؤلاء من البيض الفقراء القادمين من المناطق الجبلية المجاورة.

رابعاً: يانكي سيتي "لويد وارنر William Lloyd Warner"

مفهوم مصطلح يانكي: (53)

يانكي yankee أو yank في بريطانيا مصطلح له عدة استعمالات، يستعمل في بريطانيا وبعض دول العالم للإشارة إلى سكان الولايات المتحدة الأمريكية، بينما يستعمل في أمريكا للإشارة إلى سكان نيو انجلاند new england خصوصا ذوي الأصول الانجليزية، ويطلق على سكان الولايات الشمالية عموماً بـ "يانكي".

أصل كلمة يانكي: (54)

اليانكي اسم يطلق على الشخص القادم من الولايات المتحدة، وتعني كلمة يانكي في جنوب الولايات المتحدة، الشمالي أو آخر شخص قادم من شمال خط ماسون وديكسون.

ويستخدم معظم سكان الولايات المتحدة كلمة يانكي بمعنى new england وليس هناك من هو على يقين بشأن أصل كلمة يانكي، وتتص بعض المعاجم على أن الكلمة الانجليزية يانكي، جاءت من الكلمة الاسكتلندية يانكي، واليانكي هي المرأة المجتهدة والنشيطة.

وتشير معاجم لغوية أخرى إلى أن اليانكي هو النطق الهندي لكلمة انجليزي، أو نطق الفرنسية لكلمة "أنجليه".

وقد أطلق الفلمنكيون الأوائل في بعض الأحيان على سكان هولندا اليانكيز، ويعتبر هذا اللفظ اختصاراً للأسماء الهولندية الشائعة جان وكورنيليس، ويعتقد آخرون أن سكان الفلاندر أطلقوا نفس الاسم على الهولنديين، الذين يعيشون في شمال أمريكا".

<sup>53</sup> - john p. marquand, poit of no retun, boston, 1949, p144.

<sup>54</sup> - john p. marquand, poit of no retun, boston, 1949, p144.

كان عالم انثر وبولوجي أمريكي وعالم اجتماع شهير بدراسة الطبقة الاجتماعية والبنية الاجتماعية للثقافة الأمريكية الحديثة، اسمه الحقيقي "ويليام لويد وارنر" ولد في 26 أكتوبر 1898 في كاليفورنيا وتوفي في 23 ماي 1970 في شيكاغو، قام بتطبيق نذير للأساليب الانثروبولوجية للمشاكل الاجتماعية المعاصرة، مثل العلاقات العرقية والبنية الطبقة في البيئة الحضرية.

ومن إسهاماته البارزة تعريف ثلاث فئات اجتماعية: العليا والوسطى، واقل من ذلك، مع كل مستوى مقسمة إلى مزيد من العلوي والسفلي، قام ببحوث واسعة النطاق على المجتمعات في الولايات المتحدة، ولاسيما دراسة طويلة الأجل لمدينة نيو انجلاند الصغيرة ونشر نتائجه في سلسلة يانكي، وشارك أيضا في دراسات هاوثورن الشهيرة من مايو، والتي كشفت عن أهمية التأثيرات الاجتماعية والنفسية في تحفيز العاملين.

كانت وجهة نظر وارنر للمجتمع البشري لا يتطابق مع المؤسسات الأكاديمية من وقته، والكثير من عمله لم يكن استقبالا حسنا في ذلك الوقت، ومع ذلك رائدة بحثه تطبيقا للبحوث العلمية في إطار الأعمال التجارية في المناطق الحضرية، وشدد على أهمية العوامل الاجتماعية والنفسية، بدلا من الدوافع المالية الخارجية، في التعامل مع قضايا الطبقة الاجتماعية والحراك الاجتماعي.

<sup>55</sup> - ibid, p 145-146.

كانت دراسة مدينة يانكي أهم أعماله مما لا شك فيه الفحص الأكثر طموحا ومستداما للمجتمع الأمريكي، وارنر وفريقه المتكون من 30 باحثا اختار مدينة نيو انجلاند الصغيرة من new bury port نيو بري بورت المدينة الصغيرة الساحلية.

سلسلة دراسات يانكي سيتي: (57)

كانت دراسة يانكي سيتي نتاجا مباشرا لتجارب هوثورن، التي كان لويد وارنر قد شارك فيها لفترة قصيرة. ووارنر عالم "انثروبولوجيا" حول اهتمامه من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة.

كان قد خطط الباحثون في ويسترن اليكتريك لدراسة علاقة مصانع هوثورن بالمجتمع المحلي المحيط بها. ولقد بين البحث الدقيق وجود بعض المعوقات أمام دراسة مدينة كبيرة كمدينة شيكاغو، وبدا البحث عن مجتمع محلي صناعي صغير يمكن فيه دراسة مشكلات العمال في إطار السياق الاجتماعي الكلي الذي يعيشون فيه، وقد رغب وارنر أن يدرس مجتمعا محليا أقل تفككا من الأحياء الصناعية بمدينة شيكاغو، أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بالاستقرار النسبي ومقاومة التغير، وهذا ما جعل اختياره ينحصر على نيو انجلاند. وقد وقع الاختيار في النهاية على "نيو بري بورت" new bury port في "ماساشوسيتس". وهي مدينة ساحلية صغيرة لها تاريخ طويل ومتواصل. وكانت تضم حوالي 17 ألف نسمة وقت الدراسة.

<sup>56</sup> - ibid, p147.

<sup>57</sup> -w. lloyd warner and paul s, university press, 1941, p106.

لقد بدأ العمل الميداني عام 1931 وانتهى عام 1935، وخرجت نتائج المشروع في خمسة مجلدات ضخمة ظهرت في الفترة ما بين 1941 و 1959 وفقا لخطة البحث الأصلية. وتغطي هذه المجلدات النمط العام للحياة الاجتماعية في يانكي سيتي، وتحليلا دقيقا لنسق المكانة، وأوضاع ثماني جماعات عرقية في المجتمع المحلي (الإيرلنديون والكنديون الفرنسيون واليهود والايطاليون واليونانيون والبولنديون والروس)، والتطور المفاجئ الهام لصناعة الأحذية المحلية، والرموز السياسية والتاريخية والدينية في يانكي سيتي، وقد ساعد وارنر في إعداد هذه المجالات مجموعة من المشاركين والمساعدين الأكفاء، وواصل كثير منهم إجراء بحوث هامة خاصة بهم فيما بعد.

#### أوجه التشابه والاختلاف بين يانكي سيتي وميدلتاون: (59)

ويتشابه مشروع يانكي سيتي مع المشروع الأول في ميدلتاون مع نواحي عديدة، إذ نجد للمرة الثانية مجموعة متحمسة من شباب الباحثين تنتقل إلى المجتمع المحلي، وتحيط سكانه علما بأهدافهم العامة، وتسعى إلى جمع معلومات غزيرة باستخدام طرق عديدة: الملاحظة بالمشاركة، ورسم الخرائط، والعد الإحصائي، والمقابلات، والاستبيانات، وتاريخ الحالة، والوثائق العامة، والصحف، واليوميات، والمذكرات. وكما هو الحال في ميدلتاون كان الاكتشاف الهام المبكر. هو وجود نسق واضح من الطبقات الاجتماعية يؤثر في حياة السكان من جميع الجوانب. وكما هو الحال أيضا في ميدلتاون اتضح أن وجود الباحثين كان له تأثير ضخم على الوعي الاجتماعي للسكان.

بيد أن الاختلافات بين الدراستين تعادل في أهميتها أوجه التشابه بينهما، فقد كان التركيز في ميدلتاون منصبا على التغيرات الاجتماعية التي حدثت بين 1890 و 1925، أما في يانكي

<sup>58</sup> - ibid, p108.

<sup>59</sup> - ibid, p109.

سيتي فقد تمت دراسة التغير بصفة منتظمة عبر فترة زمنية أطول، ويمكن أن تعد ميدلتاون عينة من المجتمع الأمريكي أو على الأقل عينة من وسط غرب أمريكا، أما يانكي سيتي فهي تمثل شريحة اقل نمطية من الحياة الأمريكية، وقد ساد مشروع يانكي سيتي اهتمام بأماكن معينة وأشخاص بعينهم.

"وتمثل أهم الاختلافات المنهجية بين المشروعين في معالجة الجماعات في ميدلتاون على أنها تجمعات aggregates في حين تم ترتيب البيانات التي جمعت في يانكي سيتي حسب أسماء الأفراد، ويتكون الجزء الرئيسي من التحليل من تعقب روابط الأفراد وعلاقاتهم باستخدام نظام الملفات "ملف لكل فرد" الذي يجمع المعلومات بشكل فردي عن كل ساكن تقريبا من سكان المدينة".<sup>(60)</sup>

### **النظام الطبقي في يانكي سيتي:<sup>(61)</sup>**

ويتكون النظام الطبقي من:

طبقتين أو أكثر من الناس الذين يعتقد أنهم في أوضاع عليا ودنيا، وفقا لترتيب أعضاء المجتمع المحلي، ويفضل الزواج داخل نفس الطبقة، من أن قيم المجتمع تبيح الزواج بين أفراد ينتمون إلى طبقات مختلفة، كما أن النسق يساعد الأطفال أن يظلوا في نفس مكانة والديهم. ويقوم المجتمع الطبقي بتوزيع الحقوق والامتيازات، والواجبات والالتزامات بدرجة غير متكافئة بين الرتب الدنيا والعليا. ويتميز نسق الطبقات المفتوحة على عكس نسق الطبقات المغلقة، بقيمة الخاصة بالصعود والهبوط على السلم الاجتماعي، وهذا هو التسلق الاجتماعي باللغة الدارجة أو الحراك الاجتماعي باللغة المتخصصة، وقد وجدنا أن النسق الاجتماعي في يانكي سيتي يسوده نظام طبقي.

<sup>60</sup> - ibid, p110.

<sup>61</sup> -ibid, p112.

ويتألف النظام الطبقي من ست طبقات أو من ثلاث طبقات رئيسية كل منها ينقسم بدوره إلى قسمين، وباللغة الدارجة توجد أسماء لهذه الطبقات تستند إلى إحياء المدينة (مثل سكان شارع هيل، وسكان شارع سايد، وسكان ريفر بروكر).

وتدل هذه التسميات كتعبيرات مهدبة عن التصنيفات الطبقيّة، والطبقات الست -بلغة وارنر- هي: العليا-العليا، العليا-الدنيا، الوسطى-العليا، الوسطى-الدنيا، الدنيا-العليا، والدنيا-الدنيا.

"وتتألف الطبقة العليا-العليا من العائلات العريقة التي حافظ إسلافها على وضع قيادي في المدينة على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، وبلي ذلك العائلات الجديدة "العليا-الدنيا" التي يتشابه أسلوب معيشتها مع أسلوب معيشة العائلات العريقة، ولكنه أسلوب مكتسب حديثاً وتتكون الطبقة "الوسطى-العليا" من رجال الأعمال وأصحاب المهن الفنية المتخصصة الذين يتمتعون بقدر من الاستقلالية.

وتتألف الطبقة الوسطى-الدنيا من صغار التجار والعمال أصحاب الياقات البيضاء. ويشكل عمال المصانع السواد الأعظم من الطبقة الدنيا-العليا. أما الطبقة الدنيا-الدنيا فتتكون من ساكني ريفر بروكر الذين يعملون بصفة غير منتظمة، يحصلون على قوت غير مضمون من العمل العرضي، وأعمال الحفر، وصيد البحر، والمهن غير النظامية.

ويلاحظ أن اليانكيين (هم الأشخاص المنحدرين من المستوطنين الانجليز الأول في نيو انجلاند) هم الجماعة السائدة، ويشكل اليانكيون من أصل محلي حوالي نصف مجموع السكان، وهم ممثلون في جميع الطبقات الست خاصة في الطبقتين العليا والدنيا".<sup>(62)</sup>

"<sup>(63)</sup> وينتمي حوالي ربع السكان إلى جماعات عرقية عديدة بدأت تستوطن يانكي سيتي في الأربعينيات من القرن الماضي، وهم ممثلون في جميع الطبقات باستثناء الطبقة العليا، ويبدو

<sup>62</sup> - ibid, p113.

<sup>63</sup> - ibid, p113.

أن جميع الجماعات العرقية ارتفعت مكانتها باطراد وقت إجراء الدراسة، مع تزايد نسبة السكان الوطنيين وانتهاء عزلتهم الثقافية عن أغلبية السكان.

ومع أن وارنر أشار أحيانا إلى "تنظيم الحياة" في يانكي سيتي، فإن النسق الطبقي ليس تنظيما بالمعنى المألوف عند عالم الاجتماع، أي نسق اجتماعي له أهداف جمعية واضحة، وحتى الوقت الذي وصل فيه فريق البحث لم يوجد فرد واحد، في هذه المدينة، كانت لديه معرفة وافية بالنسق الطبقي، مع أن كل فرد لديه تصور عن بعض ملامحه، وهذا النسق الطبقي نمط تلقائي نتج تدريجيا عن ظروف تاريخية، وأصبح قادرا على الاستمرار لان نيو برى بورت تتميز بحجم ثابت نسبيا من السكان، ولم تتعرض لأية ضغوط حادة من الخارج.

ومع أن النسق الطبقي في يانكي سيتي يركز في النهاية على ملكية رأس المال والوصول إلى الأوضاع من خلال فرص الكسب المختلفة، فإنه يصعب تفسير هذا النسق تفسيراً كاملاً من خلال العوامل الاقتصادية وحدها، فالناس في كل طبقة أكثر ثراء في المتوسط عن الناس في الطبقة الأدنى منها، بيد أن هناك فجوة زمنية، وأحيانا ما تكون فترة زمنية طويلة للغاية، بين أي تغير في الوضع الاقتصادي للأسرة والتغير المقابل في مكانتها، لدرجة أن نفرا من أعضاء الطبقة العليا يعيشون في فقر تقريبا، في حين يحوز بعض أفراد الطبقة الوسطى الدنيا دخولا مرتفعة، ويبدو أن المحك الرئيسي للنسق الطبقي لا يتمثل في مقارنة الدخول بل يتمثل في مجموعة معقدة ودقيقة ومتشعبة من القواعد يتم بواسطتها اختيار أو رفض الأفراد لأنماط معينة من العلاقات، فالعضوية التي تبدو هامة ومؤثرة في يانكي سيتي هي عضوية الأسرة والزمرة والرابطة، والجماعة الاقتصادية، ولكل جماعة من هذه الجماعات نمطها الطبقي الخاص بها، فأعضاء نفس الأسرة عادة ما ينتمون إلى نفس الطبقة، وأعضاء الزمرة ينتمون إلى طبقة أو طبقتين متقاربتين وأعضاء الرابطة ينتمون إلى تشكيلة من الطبقات تبعا لطبيعتها، أما أعضاء الجماعة الاقتصادية فيتفاوتون تفاوتاً حاداً من الناحية الطبقيّة".

"ويدعم النسق الطبقي نفسه بفعالية واضحة، ويعود ذلك إلى أن الأفراد المستاعين يهاجرون إلى مكان آخر، أما الأفراد الذين يظلون موجودين يقبلون قيم يانكي سيتي"<sup>(64)</sup>.

"ويتوقف أي نوع من أنواع الحراك الصاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشخاص من الطبقة الأعلى في انضمام الشخص الطامح إلى مكانة أعلى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تكون كل طبقة كبيرة بدرجة تمنع أي فرد أو زمرة أن تحتكر الوصول إليها، وأي مرشح للعضوية في الطبقة حر في أن يبحث عن مدخل ثاني إذا صعب عليه الدخول من المدخل الأول، وهكذا تمضي أرامل الطبقة العليا في يانكي سيتي حياتهم شبه معقدة من الخدع الخطيرة، ويمكن تفسير كل تجمع اجتماعي سواء من جانب الباحثين أو من خلال الأشخاص العاديين، بأنه عبارة عن جولة من لعبة مستمرة من أجل إحراز نقاط المكانة، وتتم ممارسة اللعبة بقوة في قمة السلم حيث تكون المكافأة أعظم في حين تتم ممارستها بأسلوب هادئ بين أفراد الطبقة الدنيا"<sup>(65)</sup>.

#### دراسة وارنر لمشروع يانكي سيتي:<sup>(66)</sup>

"رغم وارن ران يدرس مجتمعا محليا اقل تفككا من الأحياء الصناعية بمدينة شيكاغو، أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بالاستقرار النسبي ومقاومة التغير، وهذا ما جعل اختياره ينحصر في نيو انجلند، وقد وقع الاختيار في النهاية على "نيو بري بورث" new bury port، وهي مدينة ساحلية صغيرة لما تاريخ طويل ومتواصل، وكانت تضم حوالي 17 ألف نسمة وقت إجراء الدراسة.

وقد بدأ العمل الميداني عام 1931 واكتمل عام 1935، وخرجت نتائج المشروع في خمسة مجلدات ضخمة، ظهرت في الفترة بين 1941 و1959 وفقا لحظة البحث الأصلية، وتغطي هذه المجلدات النمط العام للحياة الاجتماعية في "يانكي سيتي"، وتحليلا دقيقا لنسق المكانة،

<sup>64</sup> - ibid, p115.

<sup>65</sup> - ibid, p116.

<sup>66</sup> - محمد الجوهري، مرجع سابق، ص150.

وأوضاع ثماني جماعات عرقية في المجتمع المحلي (الاييرلنديون، الروس)، والتطور المفاجئ الهام لصناعة الأحذية المحلية، والرموز السياسية والتاريخية والدينية في "يانكي سيتي" وقد ساعد وارنر في إعداد هذه المجلدات مجموعة من المشاركين والمساعدين الأكفاء، وواصل كثير منهم إجراء بحوث هامة خاصة بهم فيما بعد.

ويتشابه مشروع يانكي سيتي مع المشروع الأول في ميدلتاون من نواح عديدة، إذ نجد للمرة الثانية مجموعة متحمسة من شباب الباحثين تنتقل إلى المجتمع المحلي وتحيط سكانه علما بأهدافهم العامة، وتسعى إلى جمع معلومات غزيرة باستخدام طرق عديدة الملاحظة بالمشاركة، ورسم الخرائط، والعد الإحصائي، والمقابلات والاستبيانات، وتاريخ الحالة، والوثائق العامة والصحف واليوميات، كما هو الحال أيضا في ميدلتاون منصبا على اتضاح أن وجود الباحثين كان له تأثير ضخم على الوعي للسكان موضوع للدراسة".

### **النظام الطبقي في يانكي سيتي: (67)**

يتكون النظام الطبقي في رأي كيرنر من طبقتين أو أكثر من الناس الذين يعتقد إنهم في أوضاع عليا ودنيا وفقا لترتيب أعضاء المجتمع المحلي، ويفضل الزواج داخل نفس الطبقة، مع أن قيم المجتمع تتيح الزواج بين أفراد ينتمون إلى طبقات مختلفة، كما أن النسق الطبقي يساعد الأطفال أن يظلموا في نفس مكانة والديهم، ويقوم المجتمع الطبقي بتوزيع الحقوق والامتيازات والواجبات والالتزامات بدرجة غير متكافئة بين الرتب الدنيا والعليا، ويتميز نسق الطبقات المفتوحة على عكس نسق الطبقات المعلقة، بالقيمة الخاصة بالصعود والمنوط على السلم الاجتماعي باللغة المتخصصة، وقد وجدنا أن النسق الاجتماعي في يانكي سيتي يسوده نظام طبقي.

67- المرجع السابق، ص ص 151، 152.

ويتألف النظام الطبقي من ست طبقات، أو من ثلاث طبقات رئيسية كل منها ينقسم بدوره إلى قسمين، وباللغة الدارجة توجد أسماء لهذه الطبقات تستند إلى إحياء المدينة، سكان شارع ميل وسكان شارع سايد، وسكان شارع ريفر بروكر، وتدل هذه التسميات كتعبيرات مهذبة عن التصنيفات الطبقيّة، والطبقات الست بلغة وارنر من الطبقة العليا - العليا، العليا، العليا الدنيا، الوسطى العليا، الوسطى الدنيا، الدنيا العليا والدنيا الدنيا حيث تتألف الطبقة العليا العليا من العائلات العريقة التي حافظت أسلافها على وضع مبادئ في المقدمة على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، وبلي ذلك العائلات الجديدة العليا الدنيا التي يتشابه أسلوب معيشتها مع أسلوب معيشة العائلات العريقة ولكنه أسلوب مكتسب حديثاً، وتتكون الطبقة الوسطى العليا من رجال الأعمال وأصحاب المهن الفتيّة المتخصصة الذين يتمتعون بقدر من الاستقلالية، وتتألف الطبقة الوسطى الدنيا من صغار التجار والعمال أصحاب الياقات البيضاء، ويشكل عمال المصانع السواد الأعظم من الطبقة الدنيا العليا، أما الطبقة الدنيا الدنيا الأخيرة فتتكون من ساكني ريفر بروكر الذين يعملون بصفة غير منتظمة، ويحصلون على قوت غير مضمون من العمل العرضي، أعمال الحفر وصيد البحر والمهن غير النظامية.

فالعضوية التي تبدو مؤثرة وهامة في "يانكي سيتي" هي عضوية الأسرة، والزمرة، الرابطة، والجماعة الاقتصادية، ولكل جماعة من هذه الجماعات نمطها الطبقي الخاص بها، فأعضاء نفس الأسرة عادة ما ينتمون إلى نفس الطبقة، وأعضاء الزمرة ينتمون إلى طبقتين متقاربتين، وأعضاء الرابطة ينتمون إلى تشكيلة من الطبقات تبعا لطبيعتها، أما أعضاء الجماعة الاقتصادية فينتفوتون تفاوتاً حاداً من الناحية الطبقيّة.

ويدعم النسق الطبقي نفسه بفاعلية واضحة، ويعود ذلك إلى أن الأفراد المستائين يهاجرون إلى مكان آخر، أما الأفراد الذين يظلون موجودين يقبلون قيم "يانكي سيتي" ويتوقف أي نوع من الحراك الصاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشخاص من الطبقة الأعلى في انضمام الشخص الطامح إلى مكانة أعلى، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى تكون كل طبقة (حتى

الطبقة العليا العليا) كبيرة بدرجة تمنع أي فرد أو زمرة أن تحتكر الوصول إليها، وأي مرشح للعضوية في الطبقة حر في أن يبحث عن مدخل ثان إذا صعب عليه الدخول من المدخل الأول، وهكذا تمضي أرامل الطبقة العليا في "يانكي سيتي" حياتهن في شبكة معقدة من الخدع الخطيرة.

ويمكن تفسير كل تجمع اجتماعي سواء من جانب الباحثين أو من خلال الأشخاص العاديين بأنه عبارة عن جولة من لعبة مستمرة من أجل إحراز نقاط المكانة، وتتم ممارستها بأسلوب هادئ بين أفراد الطبقة الدنيا".

### تنظيم الحياة في يانكي سيتي من خلال النسق الطبقي: (68)

يلاحظ أن اليانكيين (هم الأشخاص المنحدرون من المستوطنين الانجليز الأوائل في نيو انجلند) هم الجماعة السائدة، ويشكل اليانكيون من أصل محلي حوالي نصف مجموع السكان، وهم ممثلون في جميع الطبقات الست خاصة في الطبقتين العليا والدنيا، وينتمي حوالي ربع السكان إلى جماعات عرقية عديدة بدأت تستوطن يانكي سيتي في الأربعينيات من القرن الماضي، وهم ممثلون في جميع الطبقات باستثناء الطبقة العليا-العليا، ويبدو أن جميع الجماعات العرقية ارتفعت مكانتها بالطرد وقت إجراء الدراسة مع تزايد نسبة السكان الوطنيين وانتهاء عزلتهم الثقافية عن أغلبية السكان.

ومع أن وارنر أشار إلى تنظيم الحياة في يانكي سيتي، فإن النسق الطبقي ليس تنظيمًا بالمعنى المألوف عند عالم الاجتماع، أي نسق اجتماعي له أهداف جمعية واضحة، وحتى الوقت الذي وصل فيه فريق البحث لم يوجد فرد واحد في هذه المدينة كانت لديه معرفة واضحة بالنسق الطبقي، مع أن كل فرد لديه تصور عن بعض ملامحه، وهذا النسق الطبقي

نمط تلقائي ينتج تدريجيا عن ظروف تاريخية وأصبح قادرا على الاستمرار لان نيو برى يورت، تتميز بحجم ثابت نسبيا من السكان، ولم تتعرض لأية ضغوط حادة من الخارج.

ومع أن النسق الطبقي في يانكي سيتي، يركز في النهاية على ملكية رأس المال والوصول إلى الأوضاع من خلال فرص الكسب المختلفة فإنه يصعب تفسير هذا النسق تفسيراً كاملاً من خلال العوامل الاقتصادية وحدها، فالناس في كل طبقة أكثر ثراء في المتوسط عن الناس في الطبقة الأدنى منها، بيد أن هناك فجوة زمنية وأحيانا ما تكون فترة زمنية طويلة للغاية، بين أن التغيير في الوضع الاقتصادي للأسرة، والتغيير المقابل في مكانتها لدرجة أن تفرا من أعضاء الطبقة العليا-العليا يعيشون في فقر تقريبا في حين يحوز بعض أفراد الطبقة الوسطى- الدنيا دخولا مرتفعا، ويبدو أن المحك الرئيسي للنسق الطبقي لا يتمثل في مقارنة الدخول، بل يتمثل في مجموعة معقدة ودقيقة ومتشعبة من القواعد يتم بواسطتها اختيار أو رفض الأفراد لأنماط معينة من العلاقات.

**مرتكزات دراسة وارنر ليانكي سيتي: (69)**

ملكية رأس المال والوصول إلى الأوضاع من خلال فرص الكسب المختلفة فإنه يصعب تفسير هذا النسق تفسيراً كاملاً من خلال العوامل الاقتصادية في كل طبقة، فالناس في كل طبقة أكثر ثراء في المتوسط عن الناس في الطبقة الأدنى منها، بيد أن هناك فجوة زمنية.

النسق الطبقي يعود أي أن الأفراد المستاعين يهاجرون إلى مكان آخر أم الأفراد الذين يظلون موجودين يقبلون قيم يانكي سيتي ويتوقف أي نوع من أنواع الحراك الصاعد داخل هذا المجتمع على رغبة أشخاص من طبقة الأعلى في انضمام الشخص الطامح إلى طبقة أعلى.

<sup>69</sup>- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص154.

إسهامات مشروع يانكي سيتي: (70)

-انتشار وجهة نظر الأمريكيين عن مجتمعهم واتضح أن التنوع الأمريكي هو أساس التجانس المنظم في المجتمع الأمريكي مع ذلك فإن هذا التطور كان له ثمنه ما دام أن النسق الطبقي الذي نما في نيو برى بورث كان بطبيعته سريرا وغير معترف به وانحراف غير شرعي عن المثل الأمريكية السائدة عن الديمقراطية والمساواة بين الأشخاص.

- وقد أمكن الباحثين من خلال هذا النسق أن يغيروا من طبيعته إلى حد ما وان يبرهنوا على صحة حجج من ادعوا مكانة عليا.

- التسليم بوجود نسق طبقي في الولايات المتحدة الأمريكية.

- النسق الطبقي الموجود في أمريكا مؤلف من ستة طبقات موجودة في مجتمعات أخرى دون الحاجة للبحث عن ذلك.

**نتائج مشروع يانكي سيتي: (71)**

وقد أسهم مشروع يانكي سيتي على مزاد دراسات ميدلتاون أن وجود بيت من الدعارة أو ثلاثة بيوت لممارسة الدعارة أوضحت الدراسة ممارستها في الخفاء، وبعد عشر سنوات اكتشف هو وزوجته أن ميدلتاون في عام 1925 تمثل مركزا للدعارة لإقليم كبير وأنهما فشلا ملاحظة وجود منطقة حي البغاء بجانب حي الأعمال وأصبح وزوجته على دراية بان نسبة كبيرة من السكان كانوا يعيشون في مساكن متهدمة لا توجد بها مياه نقية أو تدفئة كافية، وان إدمان المسكرات كان منتشرا عام 1925، والاهم من ذلك أن ليند وزوجته أعاد النظر في وجهة نظرهما السابقة، حول البناء الطبقي لتأخذ في الاعتبار دور الأسرة ذات النفوذ التي كانت تمتلك الصناعة المحلية الرئيسية.

70- المرجع السابق، ص 155.

71- المرجع السابق، ص ص 145 - 155.

وأدرك ليند وزوجته وجود طبقة عليا ناشئة تتكون من رجال الصناعة الأثرياء، وأصحاب البنوك والمديرين المحليين للشركات الوطنية، وقلة ثرية تابعة لهذه الجماعات.

وكذلك من النتائج المتوصل إليها، انتشار وجهة نظر الأمريكيين عن مجتمعهم واتضح أن التنوع المحلي هو أساس تجانس النظم في المجتمع الأمريكي، مع ذلك فإن هذا التصور كان له ثمنه ما دام أن النسق الطبقي الذي نما في "نيو برى بورث" كان بطبيعته سريريا، وغير معترف به، وانحرافا غير شرعي عن المثل الأمريكية السائدة عن الديمقراطية والمساواة بين الأشخاص، وقد أمكن للباحثين من خلال إظهار معالم هذا النسق، أن يغيروا من طبيعته إلى حد ما وان يبرهنوا على صحة من ادعوا مكانة عليا، وان يحصلوا من الصعب على الجماعات الوسطى والدنيا ادعاء المساواة النظرية، وهو الادعاء الذي كان موجودا من قبل، ومع الشباب تم التسليم على نطاق واسع بوجود نسق طبقي في الولايات المتحدة، كما أن النسق الطبقي المؤلف من ستة طبقات الذي وجده "وارنر" في نيو برى بورث موجود في مجتمعات أخرى دون حاجة للبحث عن ذلك.

خامسا: اختيار الشعب عند بول لازار سفيلد

هناك بعض الأبحاث التي تتدرج ضمن تأثير وسائل الإعلام ولكن ليس تأثيرا مباشرا وإنما تأثيرا غير مباشر، وذلك نتيجة لمجموعة من الجهود التي قام بها بعض الباحثين الأمريكيين من أمثال: (هيرتا هيرزوج) و(روبرت ميرتون) و(بول لازار سفيلد) و(إيهو كاتز)، حيث قاموا بوضع منهجية بحث تجريبي لدراسات جمهور وسائل الإعلام توصلوا من خلالها إلى دحض النظرة المتشائمة لجمهور وسائل الإعلام<sup>(72)</sup>. ومن بين هذه الجهود التي شكّلت قطيعة مع أنموذج التأثير المباشر؛ تلك التي قام بها Paul Lazar sfeld في دراسته "اختيار الشعب"، إذ توصل من خلال بحثه إلى مفهوم تدفق الاتصال على مرحلتين "two step-flow of communication". حيث يعبّر عن الاتصال الشخصي يلعب دورا مهما في التأثير على آراء ومواقف الجمهور أثناء الحملات الانتخابية، وذلك عن طريق قادة الرأي الذين يستطيعون أن يؤثروا على الجمهور لتغيير مواقفهم<sup>(73)</sup>.

نبذة عن بول لازار سفيلد: (74)

ولد عالم الاجتماع، النمساوي الأصل، بول فيلكس لازار سفيلد في فيينا في 13 فبراير 1901، في أسرة نشطت في مجال الفن والثقافة والسياسة؛ فوالده روبرت (Robert) كان محاميا مشهورا بدفاعه عن النشطاء السياسيين الشباب مجانا، ووالدته صوفي (Sofie) اختلفت في التحليل النفسي، وتدربت على يد ألفريد أدلر (Alfred Adler)، ولها كتاب عن تحرير النساء؛ وهو ما شجعه ليكون عضوا نشيطا وقياديا في المنظمات الطلابية الاشتراكية، بلغ حد تأسيس جريدة شهرية للطلبة الاشتراكيين. وقد أسهم في إنشاء ما سمي بـ"الكباريه السياسي" الذي لعب دورا مهما في تطوير تاريخ فيينا السياسي والمسرحي.

<sup>72</sup> - David MORLEY, Audience Research

<sup>73</sup> - محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 3، 2004، ص 237.

<sup>74</sup> - سيلز، د.إل، الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، مترجم، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط 1، 2010، ص 238.

نال لازار سفيلد شهادة الدكتوراه في علم الرياضيات التطبيقية من جامعة فيينا سنة 1925، وتعرّف أثناء دراسته على عالمي النفس كارل وشارلوت بوهلر اللذين درّساه، وتأثر بهما وعمل معهما في معهد بوهلر النفسي، تحديدا مساعدا لشارلوت بوهلر في أبحاثها عن الطفولة المبكرة ونمو الشباب. ممّا أتاح له فيما بعد تأسيس قسم خاص في المعهد النفسي، يَـعنى بتطبيق علم النفس على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية.

انتقل لازار سفيلد سنة 1933 إلى أمريكا، بعد أن تحصّل على منحة من مؤسسة روكفلر، التي أكبرت دراسته حول قرية مارينيثال، وثمّنت ما جاء فيها من نتائج استندت إلى منهج تكاملي، يجمع بين الملاحظات الكمية والكيفية؛ وهي دراسة كان لها أثر كبير في عدّة أجيال لاحقة من علم الاجتماع. ومع أنّ النازيين عملوا على منع ظهورها ونشرها، فإنّها باتت منذ سنة 1978 "جزءا من مقرّرات علم الاجتماع في الجامعات النمساوية"<sup>(75)</sup>.

واستقرّ لازار سفيلد بالولايات المتحدة الأمريكية، وانصرف إلى إنجاز عدد من المشاريع البحثية، ووجد دعما كبيرا من روبرت ليند، فتمكّن من إنشاء مركز للبحوث في جامعة نيوارك (Newark) حول البطالة، وتولّى الإشراف على دراسة أقرّتها مؤسسة روكفلر حول التأثيرات الاجتماعية للراديو، لتتحوّل إلى مركز أبحاث. انطلق في جامعة نيوارك، لينتقل إثرها إلى مدينة نيويورك في مقرّ مستقلّ به.

وفي سنة 1939 تمّ تعيين لازارسفلد محاضرا بجامعة كولومبيا، ثمّ أستاذا مساعدا في علم الاجتماع، حيث ظلّ إلى حين إدراكه سنّ التقاعد سنة 1969. وفي سنة 1944 تحوّلت تسمية مكتب بحوث الراديو إلى مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية.

وفي سنة 1962 أصبح لازارسفلد أستاذا كرسي كتليه للعلوم الاجتماعية، وقد أنشئ هذا الكرسي خصيصا له؛ فقد كان يؤمن بأن الإحصائي البلجيكي أدولف كتليه (Adolphe

(Quetlet) هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع الإمبريقي. ولم يتوقف لازارسفلد عن التدريس حتى إثر تقاعده؛ فقد كان يقيم دروسا في جامعة بتسبرغ، باعتباره أستاذا متميزا منذ سنة 1969 حتى وفاته سنة 1976.

من مؤلفاته نذكر: مقالة مشتركة مع روبرت ميرتون حول "وسائل الاتصال والذوق العام والفعل الاجتماعي المنظم" (1948)، وكتاب مشترك مع كندال (Kendall) حول "مشكلات تحليل المسوح"، دراسة عن الانتخابات الرئاسية بعنوان "خيارات الناس" (1940)، وكتاب "مذكرات تاريخية عن الدراسات الإمبريقية للفعل: الأوديسا العقلانية" (1958).

### **نشأة النظرية:**

لقد أتت هذه النظرية ردا على نظرية التأثير المباشر حيث صاغ كل من كاتز و لازار سفيلد نموذجا ينفي ذلك التأثير السحري لوسائل الاتصال بعد نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1940 عندما نجح فرنكلين روزفلت للمرة الثانية رغم معارضة الإسلام له بشتى أنواعه. هذه النتيجة استتارت جملة من التساؤلات حول الاعتقاد بقوة تأثير وسائل الإعلام وانفرادها في هذا المجال والبحث عن العوامل التي أدت إلى هذه النتيجة من خلال الدراسة التي أجراها لازار سفيلد وزملاؤه بعنوان "خيار الأمة" عام 1940 ودراسة "التأثير الشخصي" عام 1955 ومن أهم نتائج تلك الدراسات أن تأثير وسائل الإعلام ليس تاما وقويا 100 % كما يدعي البعض بل هو مرتبط بدرجات كبيرة بالأبعاد السوسولوجية وقوة العلاقات الاجتماعية إذ هناك نوع من التسلسل فوسائل الإعلام تقوم في خطوة أولى ببيت رسائل منظمة ليس نحو الجمهور مباشرة وإنما نحو وسيط هو الذي يقوم ببيتها في خطوة ثانية نحو الجمهور وان قادة الرأي كان لهم الأثر الكبير في اتجاهات الناخبين أكثر من الأثر الذي كان متوقعا أن تحدثه وسائل الاتصال الجماهيرية وبخاصة الإذاعة والصحف لهذا فسر الباحثون نتائج الانتخابات الأمريكية بقولهم "أن الرسائل الإعلامية لم تكن ذات تأثير عبر متغير وسيط هو قادة الرأي".

في انتخابات الرئاسة الأمريكية عام 1940 كان على الناخبين في مقاطعة "ايري" بولاية "أوهايو" أن يقرروا ما إذا كانوا سيدلون بأصواتهم لصالح الرئيس "فرانكلين روزفلت" لفترة رئاسة ثالثة، أم لصالح نظيره الجمهوري "وندل ويلكي"، أم سيعزفون عن الاشتراك في الانتخابات كلية.

وقام "بول لازار سفيلد" وهو مؤسس مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية في جامعة كولومبيا بإجراء بحث للكشف عن كيفية اتخاذ هذا القرار، وتقل عدد صفحات تقرير نتائج البحث عن 200 صفحة، غير أن هذا البحث كانت له آثار بعيدة المدى على النظرية والممارسة السياسية التي وفرت تراثا غزيرا منذ ذلك الوقت حول العوامل التي تحدد نتائج الانتخابات في البلاد الديمقراطية.

وقد جاء مشروع بحث مقاطعة "ايري" نتيجة للاستخدام المكثف لاستطلاعات الرأي العام لتقدير اتجاهات الناخبين في الحملات الانتخابية في الثلاثينيات، كما جاء نتيجة لبحوث جمهور المستمعين والقراء التي قامت بها الشبكات الإذاعية والمجلات القومية في نفس الوقت لمضاعفة تأثير حملاتها الدعائية، وقد تم تدبير الجانب الأكبر من تمويل هذا البحث من جانب إحدى المجلات القومية وإحدى مؤسسات بحوث الرأي العام.

"وقد جمعت البيانات بواسطة باحثين قاموا بزيارة عينة إحصائية ممثلة للسكان وحصلوا على إجاباتهم على استبيان مقنن وكانت هذه الدراسة مع ذلك أكثر دقة وإحكاما مما هو مألوف في مسح الرأي العام، وقام الباحثون بزيارة المنزل الرابع في كل شارع من شوارع المقاطعة لتحديد إطار معاينة مكون من 3000 ناخب تقريبا على أن يكونوا ممثلين لجملة السكان من حيث: العمر، النوع، الإقامة، التعليم، امتلاك الهاتف والسيارة، والموطن الأصلي، تم اختيار

أربع عينات من هذا الإطار وتتكون كل عينة من 200 مفردة تتشابه في الخصائص السابقة، ووقع الاختيار على إحدى هذه العينات لتكون العينة الأساسية، وتمت مقابلة مفرداتها مرة كل شهر من مايو إلى نوفمبر من ذلك العام، وجرت المقابلة الأولى قبل انعقاد مؤتمرات الترشيح التي تعقدها الولايات المتحدة الأمريكية، وتمت المقابلة الأخيرة بعد إجراء الانتخابات، أما مفردات العينات الثلاث الأخرى فقد تمت مقابلتهم على فترات مختلفة، وتمثل هذه العينات الثلاث الأخرى مجموعة ضابطة لاختيار تأثير تكرار المقابلة على العينة الأساسية. وقد ركزت الدراسة على اتجاه المبحوثين في عملية التصويت في انتخابات شهر نوفمبر<sup>(77)</sup>.

"والتغيرات التي طرأت على هذا الاتجاه من مقابلة إلى أخرى وإذا حدث تغير ما في اتجاه التصويت لدى المبحوث يتم سؤاله عن أسباب ذلك تفصيلا وعن الملابس المرتبطة به، وتم تسجيل اتجاهات المبحوثين عند تعرضهم لحمات الدعاية الانتخابية تسجيلا دقيقا، ولم يضم التقرير المطبوع نص الاستبيان، غير أننا نعلم انه يتضمن معلومات وافية حول سمات المبحوث الشخصية (البيانات الأساسية)، وفلسفته الاجتماعية، وتاريخه السياسي، وسمات شخصيته، وعلاقاته مع الأصدقاء والأقارب، وعضويته في التنظيمات، ولانتمائه الديني وأرائه في القضايا الجارية"<sup>(78)</sup>.

#### نتائج الدراسة التي قام بها بول لازار سفيلد:<sup>(79)</sup>

تتلخص النتيجة الرئيسية لهذه الدراسة في أن اختيار الأغلبية العظمى من الناخبين يمكن التنبؤ به من خلال ثلاث خصائص اجتماعية فقط هي: المكانة الاجتماعية، الاقتصادية، الانتماء الديني، الإقامة الريفية أو الحضرية.

77- المرجع السابق، ص 167.

78- المرجع السابق، ص 168.

79- المرجع السابق، ص ص 168-169.

إذ يتبين أن المكانة المرتفعة والنزعة البروتستانتية والإقامة الريفية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الجمهوري، في حين أن المكانة المنخفضة والنزعة الكاثوليكية والإقامة الحضرية تجعل الناخبين يميلون إلى المرشح الديمقراطي، وقد أمكن للباحثين باستخدام هذه العوامل وحدها أن يصمموا مقياسا للتعرف على التوجه السياسي للفرد، ويفيد في التنبؤ بالسلوك الانتخابي بصفة عامة، وقد وصل الباحثون إلى هذه النتيجة على الرغم من أن قياس هذه الخصائص الثلاث كان قياسا تقريبا إلى حد كبير، فقد اعتمد تقدير المكانة الاجتماعية، الاقتصادية مثلا على التقدير الذاتي للمبحوث لمسكنه وممتلكاته ومظهره وطريقة كلامه، ولم يتم قياس الانتماء الديني بالمواظبة على التردد على الكنيسة أو أي مقياس آخر من مقاييس المشاركة الدينية".

ويتأثر اختيار الناخب بتاريخه السياسي إلى حد ما بالإضافة إلى خصائصه الاجتماعية، فقد اتضح على سبيل المثال أن جميع الجمهوريين الذين أعطوا أصواتهم لصالح "لاندون" ضد "روزفلت" عام 1936، فقد أعطوا أصواتهم لـ "ويلكي" عام 1940.

وهناك مثال آخر هو أن معظم الناخبين الجدد ساروا على نفس التفضيلات الحزبية لوالديهم عندما أدلوا بأصواتهم للمرة الأولى.

أن الناخبين الأكثر اهتماما بالانتخابات، والذين يشاركون في حملات الدعاية والذين يعرضون أنفسهم للاتصالات السياسية يتخذون قرارهم قبل إجراء الانتخابات أو حتى قبل انعقاد مؤتمرات الترشيح في كل ولاية، ونجد من بين الناخبين المترددين إعدادا ضخمة من النساء، وصغار السن والفقراء وغير المتعلمين وقد لا يدلون هؤلاء بأصواتهم.

وليس الناخب اللامبالي وحده هو الذي يؤجل قراره، إذ يتعرض الناخبون لضغوط متعارضة عندما ينتمون إلى جماعات ذات اتجاهات متعارضة في التصويت، إذ يتعرض أغنياء الكاثوليك لضغوط متعارضة، ومن ثم يميلون إلى تأجيل قرارهم، كما لو كانوا ينتظرون

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

الأحداث كي تبدد هذه الضغوط المتصارعة، ومن بين الضغوط المتعارضة التي توصل الباحثون إلى التعرف عليها تبين أن أكثرها تأثيرا في تأجيل القرار هو انعدام الاتفاق داخل أسرة الناخب بسبب انقسام الرأي بين أفراد الأسرة، بل أن بعض الناخبين يظلون على ترددهم إلى أن يدخلوا بالفعل حجرة الاقتراع ولكنهم يبددون هذه الضغوط المتعارضة بان يصوتوا على نفس طريقة اقرب الأقرباء إليهم.

ومن أبرز النتائج المهمة لهذا البحث أن نفس العوامل التي تجعل الناخب يميل إلى اتخاذ قرار مبكر بشأن مرشح أو آخر تستمر في تأثيرها عندما يعجز عن اتخاذ نفس القرار، ويتأثر اختياره النهائي في الاتجاه المعتاد بخصائصه الاجتماعية حتى في مثل هذه الظروف".

سادسا: التناقض الأمريكي عند غونار ميردال

مفهوم التناقض الأمريكي:

هو حالة من الصراع أو التوتر بين الزوج والبيض الأمريكيين أي في العلاقة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وينحصر هذا التناقض في الأزمة الأخلاقية للشعب الأمريكي<sup>(80)</sup>.

نبذة عن حياة غونار ميردال:<sup>(81)</sup>

جونار ميردال (Gunnar Myrdal) هو اقتصادي سويدي من مواليد جوستاف لابرشيه ولد في السويد في 6 ديسمبر 1898 وتوفي في سنة 1987.

تخرج من كلية الحقوق من جامعة ستوكهولم عام 1923 وبدأ ممارسة القانون مع مواصلة دراسته في الجامعة. حصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد في عام 1927 حيث عمل في الاقتصاد السياسي من 1925 إلى 1929 ودرس فترات في ألمانيا وبريطانيا.

"كانت رحلته الأولى إلى الولايات المتحدة في 1929-1930 لزمالة روكفلر وخلال هذه الفترة صدر أول كتاب له عن "التأثير السياسي في تطور النظرية الاقتصادية" ثم عاد إلى أوروبا وعمل أستاذا مساعدا في المعهد العالي للدراسات الدولية في جنيف بسويسرا. في عام 1933 شغل وظيفة أستاذ كرسي "ارس بيرتا" في الاقتصاد السياسي والمالية العامة في جامعة ستوكهولم، بالإضافة إلى الأنشطة التعليمية وكان ناشطا في السياسة السويديه وانتخب عضوا في مجلس الشيوخ في عام 1934 وعضوا في الحزب الديمقراطي الاجتماعي في 1938.<sup>(82)</sup>

عاد إلى السويد عام 1942 وأعيد انتخابه لمجلس الشيوخ السويدي وعمل عضو في مجلس إدارة البنك السويدي وكان رئيسا لجنة تخطيط ما بعد الحرب في الفترة (1945-1947)

<sup>80</sup>- تيودور كابلوف، البحث السوسولوجي، دار الفكر الجديد، بيروت، 1979، ص 57.

<sup>81</sup>- المرجع السابق، ص 58.

<sup>82</sup>- عبد الفتاح حسن، تاريخ الامريكيتين وتكوين السياسي للولايات المتحدة الامريكية، 2003، ص 214.

وكان وزير التجارة في السويد، ثم شغل منصب الأمين التنفيذي للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوروبا في 1957، واتجه بعد هذا مباشرة إلى دراسة شاملة عن الاتجاهات والسياسات الاقتصادية في بلدان جنوب آسيا في القرن العشرين وبحث في الفقر وتحدي الفقر في العالم ومن عام 1961 عمل في برنامج مكافحة الفقر، ثم عاد إلى السويد وشغل وظيفة أستاذ الاقتصاد الدولي في جامعة ستوكهولم وأصبح رئيس مجلس إدارة معهد ستوكهولم الدولي لبحوث السلام في ستوكهولم وأصبح رئيس مجلس إدارة معهد أمريكا اللاتينية في ستوكهولم وفي الفترة (1973-1974) كان زميل وباحث زائر في مركز دراسة المؤسسات الديمقراطية في سانتا باربرا بولاية كاليفورنيا، وفي الفترة (1974-1975) كان أستاذا زائرا في جامعة نيويورك. حصل سنة 1974 على جائزة نوبل في الاقتصاد.

"حصل ميردال على أكثر من ثلاثين درجة فخرية بدءا من جامعة هارفارد 1938 وقد تلقى العديد من الجوائز كان آخرها جائزة مالينوفسكي من جمعية الانثروبولوجيا التطبيقية وكان عضوا في الأكاديمية البريطانية والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم وكان عضوا في الأكاديمية السويدية الملكية للعلوم و زميل في جمعية الاقتصاد وعضو شرف الرابطة الاقتصادية الأمريكية. كانت زوجته الأولى ريمير ألفا تولت مناصب رفيعة في الأمم المتحدة واليونسكو وكانت سفيرة السويد إلى الهند وأصبحت وزيرة لنزع السلاح والكنيسة بالسويد. وتوفي جوناو عام 1987"<sup>(83)</sup>.

### **درسته من الجانب الاقتصادي:**

يتألف مفهوم ميردال الاجتماعي-الاقتصادي من مجموعة واسعة من العلاقات الاجتماعية. فهناك عدد من الشروط الاقتصادية وغير الاقتصادية، الهامة والمترابطة، التي تتفاعل على الدوام لخلق التغيير الاجتماعي. وضمن الشروط الاقتصادية الهامة: مستوى وطرق الإنتاج، وإنتاجية العمل، وتوزيع الدخل، ومستوى الاستهلاك. أما الشروط الهامة غير الاقتصادية

<sup>83</sup>- تيودور كابلوف، مرجع سابق، ص58.

التي أدخلها ميردال في تحليله، فتشمل: طبيعة التسهيلات التعليمية والصحية، والمواقف من الحياة والعمل-وبخاصة عند تأثرها بالدين. والشروط الأخرى هي الأخلاق والمؤسسات الرئيسية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبخاصة تلك التي تؤثر على اصطافاف القوة power في المجتمع، والقواعد المعمول بها التي وضعتها السلطات المسئولة عن هذه المؤسسات<sup>(84)</sup>. وكننتيجة لذلك، آمن ميردال بأن المشاكل "الاقتصادية" لا يمكن درسها بمعزل عن، بل فقط ضمن، إطارها السكاني والاجتماعي والسياسي.

اعتقد ميردال بأن القوى الأخرى إضافة إلى المصلحة الخاصة (بما في ذلك العواطف والعلاقات ما بين الأفراد، كالثقة) تؤثر على القرارات الاقتصادية لأعضاء المجتمع. ولكنه لم ينظر إلى عدم المساواة كشرط مسبق للكفاءة الاقتصادية والنمو. وبدلاً من ذلك، اعتقد ميردال بأن المساواة الأكبر يمكن أن تشجع الكفاءة والنمو، كما كان هو الحال في السويد منذ أوائل الثلاثينات وحتى أواخر الثمانينات. وقد وجدَ بأن الالتزام بالقيم المشتركة، كالمساواة، من شأنه رعاية التعاون، وليس التنافس، بين المؤسسات غير-السوقية من خلال خلق الإجماع بين صانعي القرار. ومن شأن ميردال أن يوافق على إن مؤسسات وعمليات كوزارة التجارة الدولية والصناعة في اليابان والتخطيط التأسيري في فرنسا تبين بأن مخططات التخصيص والتوزيع غير السوقية كانت قادرة على تشجيع الكفاءة، والنمو، وتحقيق مساواة أكبر<sup>(85)</sup>.

وبخلاف الخبراء في أوروبا الوسطى والشرقية، لم يعتقد ميردال بأن عدداً كبيراً من المنظمين، الباحثين عن الربح والذين يعرضون ابتكارات جانب العرض supply-side innovations، يُتوقع أن يظهر بسرعة في كل بلد-وبخاصة في البلدان التي تعمل بشكل بئس والتي شرعت فجأةً بتشجيع الاستثمار وتحويل مؤسساتها الرئيسية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وبإشارته إلى الفروق في الظروف كتوفر المواد الأولية، والمناخ، ونمو السكان، ونوعية

<sup>84</sup> - Angresano, Comparative Economics

<sup>85</sup> - ELLIOTT, SCHUMPETER.

الحكومة واستقرارها، والدوافع الاجتماعية، والآليات بين البلدان الغربية المصنعة وباقي العالم، فإن ميردال حاجج ضد توقع ظهور شيء من طبقة المنظّمين الموهوبين الذين يستجيبون بشكل تلقائي وعقلاني للفرص الاستثمارية في كل البلدان.

وتوجد في مفاهيم ميردال، علاقات سببية مترابطة بين العوامل التكنولوجية، والموقفية attitudinal، والمؤسسية، أثناء عملية التغيير الاجتماعي. وبخلاف معظم الاقتصاديين، حاجج ميردال بأن الدافع الأصلي لإطلاق التغيير التراكمي ضمن آلية اجتماعية معقدة سيأتي من التغييرات في المواقف والمؤسسات أكثر مما سيأتي من التكنولوجيا أو المتغيرات الاقتصادية كالأسعار أو معدلات الفائدة. ومن يسعى لتوجيه التحول في اقتصاد ما، كما يقول ميردال، عليه أن يدرك بأن التغيير في المواقف والمؤسسات ينبغي أن يسبق التغييرات في العوامل الاقتصادية. وكان مؤمناً بعدم وجود "مشاكل اقتصادية"، بل الأصح هو أن الأنظمة الاجتماعية تملك مشاكل مختلطة ومعقدة لها مكونات سياسية واجتماعية وثقافية - فكل الجوانب مترابطة وينبغي درسها في إطار تعقدها الثقافي. ومن الضروري بالنسبة للمحلل أن يشخص العلاقات السببية بين هذه المتغيرات واقتراح السياسات المنسجمة مع مواقف ومؤسسات المجتمع. وقد استشهد ميردال "بالثورة الخضراء" (إدخال بذور القمح والرز المهجنة التي، في ظل الظروف المثلى، يمكن أن تزيد إنتاجية الأرض مرتين أو أربع مرات) كمثال على مفاهيمه التي تم تجاهلها. فقد جرى إدخال التغيير التكنولوجي قبل التغيير الموقفي والمؤسسي، مما قاد إلى نتائج غير مؤاتية لعقود من الزمن بالنسبة لغالبية الفلاحين الفقراء الذين لم يحققوا سوى منافع بسيطة من إدخال البذور الجديدة دون تجهيز التغييرات التكميلية أيضاً (كالتزود بالماء بصورة أفضل، والأسمدة، أو القروض).

كان ميردال يدرك الفروق الموقفية والمؤسسية الهامة بين المجتمعات وحاجج، لذلك، بعدم وجود مجموعة فريدة من السياسات من شأنها أن تقدم الحل الشافي لأي بلد panacea. إن الخبراء الحاليين لأوروبا الوسطى والشرقية، الذين كلهم تقريباً لا يشاركون ميردال مفاهيمه،

يلمحن إلى أن سياساتهم الاقتصادية الكلية الشاملة للاستقرار والخصخصة هي، في الواقع، الحل الشافي لجميع بلدان الإقليم. ومن شأن ميردال أن ينتقد بقوة هذه السياسات القائمة على نماذج ضيقة ومغلقة تشدد بسهولة على المتغيرات الكمية القابلة للقياس مع إهمال العوامل غير الاقتصادية كالمواقف، والصحة، والتعليم، بوصفها سياسات غير ملائمة ومضللة، لأنها تهمل العقبات الأولية للتحويل والتنمية المجتمعية. وفي حالة أوروبا الوسطى والشرقية، تتضمن هذه العقبات غياب التنافس الفردي القائم على الإنجاز-achievement-oriented individualistic competitiveness، ونقص الثقافة المدنية التي تجعل الناس يؤيدون برغبتهم قوانين التجارة، وغياب ثقافة الأعمال التي تجعل للأفراد توجهات استهلاكية، وتجعل السلطات السياسية فاسدة. نقد الاقتصاد الكلاسيكي الجديد كان نقد ميردال للاقتصاد الكلاسيكي الجديد شاملاً<sup>(86)</sup>. إذ أدرك عدم كفاية المنهج التوازني الستاتيكي لهذا الاقتصاد لتحليل المشاكل الاجتماعية، وبخاصة تأكيده بأن العملية، التي بموجبها تخلق التغيرات في عامل اقتصادي داخلي أساسي تعديلات تالية في العوامل الاقتصادية الأخرى، هي عملية نمطية بالنسبة للتغير الاجتماعي.

وكان ينتقد، بشكل خاص، فكرة الكلاسيك الجدد عن الحتمية الاقتصادية economic determinism التي تقول بأن هناك "عاملاً أساسياً" واحداً يهيمن إلى حد أن التحولات الاقتصادية والاجتماعية الهامة يُتوقع أن تنتج عن تغيير عامل ما، كالتغير في الأسعار النسبية أو خصخصة منشأة ما كانت مملوكة سابقاً من قبل الدولة. وكننتيجة لذلك، يقرع ميردال معظم الاقتصاديين (بما في ذلك الاقتصاديين الماركسيين أو المدافعين عن سياسة عدم التدخل الحكومي) لفشلهم في أن يراعوا بدرجة كافية العوامل غير الاقتصادية رغم

<sup>86</sup>- انظر أعمال ميردال التالية: Rich Lands and Poor (New York: Harper, 1957); Value in Social Theory: A Kegan Paul, 1958); & Selection of Essays on Methodology, ed., Paul Streeten (London: Routledge Asian Drama: An Inquiry into the Poverty of Economic Theory (Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1969); An American Dilemma: The Negro Problem and Modern Democracy (New York: Pantheon, 1975); Against the Stream; and "Institutional Economics

تأكيدهم على عامل أساسي معين يُتوقع أن تتكيف له كل المتغيرات الأخرى الاقتصادية وغير الاقتصادية بمجرد حصول التغيير في العامل الاقتصادي الأساسي. إن تجارب البلدان النامية ودول أوروبا الوسطى والشرقية بعد العام 1989، حيث كان يتوقع حصول تعديلات ملائمة لتعزيز النمو بعد تحقيق مستويات عالية من الاستثمار أو الخصخصة الواسعة، قد أثبتت مغالطة كل من الرأي القائل بالاحتمية الاقتصادية والإيمان بوجود ميل قوي جداً في المجتمع للتكيف بطريقة يمكن التنبؤ بها للتغيرات في العوامل الاقتصادية من دون الإدخال المسبق للتغيرات الضرورية في الظروف غير الاقتصادية ذات الصلة. كما ينتقد ميردال الاقتصاد الكلاسيكي الجديد لكونه غير تاريخي، حيث يقم أنصاره نظرياتهم كفرضيات شاملة تصلح لكل مكان، وزمان، وثقافة. فقد عارض بشكل صريح الميل التكنيكي القوي للاقتصاديين الكلاسيك الجدد (لاعتبار العوامل غير الاقتصادية، التي كان يدافع عنها، كعوامل غير هامة)، وبخاصة التشديد المبالغ فيه على الرياضيات في تحليل وتفسير السلوك الاجتماعي، ووصفات السياسة التي تعود جذورها للنظرية الكلاسيكية الجديدة التقليدية-فكلاهما كانا غير ملائمين لكل البلدان غير الأعضاء في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. وبشكل خاص، يقم ميردال صانعي السياسة من الكلاسيك الجدد لاخترال كل المشاكل إلى مسألة التخصيص الأمثل للموارد، ولافتراضهم بأن الكفاءة والنمو الاقتصادي الملائم سيتحققان كنتيجة لإقامة الأسواق التنافسية.

طريقة التحليل تتضمن طريقة ميردال في التحليل ثلاثة جوانب متميزة، تقف كل واحدة منها في خلاف حاد مع طرق الكلاسيك الجدد: مواقفه عن الموضوعية في العلوم الاجتماعية؛ وطريقته المركبة في التحليل؛ ونظرية التغيير الاجتماعي. وعند أخذها معاً، تشكل هذه الجوانب طريقة تحليلية تتضمن نظرية مفيدة يمكن أن تخدم كأساس لفهم طبيعة اقتصاد مجتمع ما.

أكميردال بأن العالم الاجتماعي لم يكن قادراً على إخفاء مذهبه الإيديولوجي. على العكس، فقد كان يعتقد بأن المعايير المحددة التي يختارها محلل ما كأساس للتقييم، وطريقة قياس هذه المعايير، والأهمية النسبية المعطاة لكل معيار، يمكن أن تتأثر بوجهة نظر المحلل. كان ميردال مولعاً بالقول: "كل رأي [مفهوم اجتماعي-اقتصادي للواقع واستنتاج] يمتلك وجهة نظر معينة [فرضية معيارية]". وكان يقصد بذلك أن نتائج التحليل تتأثر بالفرضيات المعيارية للكاتب المحلل. فالكتاب يمكن أن يدعو بأن ما يكتبونه لا يتأثر بميولهم الشخصية -value free، وبالتحليل الوضعي، ولكن لديهم كلهم "قيم خفية" hidden values تؤثر على استنتاجاتهم ووصفاتهم للسياسة policy. وهذا، كما يقول ميردال، يصح بشكل خاص على الاقتصاديين الكلاسيك الجدد الذين يفضلون، كما يبدو، التجارة الحرة وسياسة عدم التدخل الحكومي. إن عدم ذكر الفرضيات المعيارية لكاتب ما بشكل صريح تقود إلى تحليل واستنتاجات "متحيزة"، في نظر ميردال-وهي تتذبذب بصورة نظامية في اتجاه مصلي opportunistic. فميردال من شأنه أن يحاجج بأن أهداف ووصفات السياسة للخبراء الغربيين المقامة لدول أوروبا الوسطى والشرقية، مثلاً، كانت تزخر بالإيديولوجيا المتأصلة في النظرية الكلاسيكية الجديدة.

ولاختزال هذا التحيز فيما يقدّم عموماً كتحليل "موضوعي"، اقترح ميردال على الكتاب المحللين أن يقبلوا بأن الاقتصاد هو علم أخلاقي، وبذلك يعرفون بشكل صريح وجهة نظرهم، أو الفرضيات المعيارية، لتطهير التحليل (إلى المدى الممكن) مما يشوّهه من تحيز. وقد رفض ميردال الزعم الوضعي للاقتصاديين الكلاسيك الجدد بأن النظرية الاقتصادية يمكنها إثبات بأن المعايير المؤكدة موجودة. وبدلاً من ذلك، حاجج ميردال بأنه على العلماء الاجتماعيين القبول بأن هذه الفرضيات المعيارية هي فوق-علمية extra-scientific ولا تنتج عن التحليل نفسه، وبأن القوانين الاجتماعية لا وجود لها، كما هو شأن القوانين

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

الطبيعية للكون. تبدأ طريقته في التحليل بتحديد فرضياته المعيارية الصريحة التي آمن هو بأنها هامة بالنسبة للمشاكل التي حلها<sup>(87)</sup>.

وقال ميردال بأن عمل ذلك مكنه من:

(1). تطهير البحث العلمي، قدر المستطاع، من التحيزات المشوهة التي هي نتيجة عادية للتحيزات الخفية.

(2). أن يحدد بصورة عقلانية وضع المشكلة وتعريفات المصطلحات للتحليل النظري؛

(3) أن يضع أساساً منطقياً للاستنتاجات العملية والسياسية<sup>(88)</sup>.

لقد دمجت طريقة ميردال المركبة في تحليل القضايا التاريخ، والسياسة، وعلم النفس الاجتماعي، والسوسيولوجيا، مع علم الاقتصاد<sup>(89)</sup>. فهي تتخلى عن الحدود الجامدة تقليدياً بين أقسام العلم الاجتماعي المستقل، كما تطورت هذه الأقسام بصورة عملية بما يخدم الأغراض التعليمية والرغبة بالبحوث المتخصصة. وقد ساعد هذا المنهج على قيام مجموعة واسعة من الملاحظات التجريبية والمعنى العام الضروري بدلاً من مناصرة إطار نظري ضيق، ساعد على اختيار أو تطوير إطار نظري ملائم لتحليل القضية المعنية. ومع أن ميردال اعتمد على نظريته للتغير الاجتماعي لصياغة تفكيره، فإن منهجه تضمن تأكيداً أقل على الدقة والتحليل الشكلي بالمقارنة مع منهجه في تناول النظرية الاقتصادية لدى الكلاسيك الجدد.

<sup>87</sup>. أنظر: Myrdal, An American Dilemma, 3-25.. وبالنسبة للفقر في البلدان المتخلفة، فقد حدد هو "أنماط التحديث" الخاصة به his Modernization ideals. أنظر عمله 49-69 Asian Drama.

<sup>88</sup> - Myrdal, An American Dilemma.

<sup>89</sup> - Erik Lundberg, Gunnar Myrdal s Contribution to Economic Theory: A Short Survey, Swedish Journal of Economics 74, no. 4 (1974): 472-478; quoted on 480

استخدم ميردال طريقته المركبة في تحليل واقتراح السياسات للسويد، والولايات المتحدة، وأوروبا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والبلدان النامية<sup>(90)</sup>.

وكان يبدأ تحليل كل موضوع بعرض عميق لتاريخه، ومواقفه، ومؤسسات البلد أو الإقليم المعني، محاولاً تعريف العلاقات السببية بين الوقائع الاجتماعية-وبخاصة تأثير المتغيرات غير الاقتصادية على التطور. وعند تحليل مشاكل النمو السكاني المتدني، والفقر، في السويد أثناء أوائل الثلاثينات، حاول ميردال تحديد العوامل المسببة للاتجاه المزمع في الهجرة، والتقلبات الدورية في الهجرة، وكيف أن الدورات الاقتصادية كانت تنعكس في الهجرة<sup>(91)</sup>.

وكان هدفه لا يقتصر على تحديد العلاقات المتبادلة بين حركات العوامل المؤثرة على الهجرة، بل يشمل أيضاً العلاقات بين تلك العوامل وكل التغيرات الأخرى ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي تؤثر على مستوى المعيشة المتدني للكثير من العائلات السويدية. وعند عمل ذلك، أدرك ميردال بأنه لم يكن من الممكن تحليل الهجرة كظاهرة منعزلة، بل كان ينبغي درسها سويةً مع كل العوامل الأخرى التي تحدد حجم السكان وتركيبه. نظر ميردال إلى السكان كآلية من الاعتماد المتبادل تؤثر عليها العوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وكان من بين استنتاجاته، الاستنتاج القائل بأن جذور مشكلة الفقر تكمن في المواقف والمؤسسات السويدية، وبخاصة الميل لإلقاء اللوم على الفقراء في بلاء الفقر، والإيمان بأن سياسات الحرية الاقتصادية "لا تعمل شيئاً ما". وقد خدمت هذه المكتشفات كأساس لدفاعه عن الإصلاحات في حقل التخطيط والمساواة التي باتت الأساس للاقتصاد الاجتماعي المسيطر عليه ديمقراطياً في السويد. وقد نجحت هذه

<sup>90</sup> - Myrdal, Asian Drama An American Delimma.

<sup>91</sup> - Myrdal with Myrdal, Kris I befolkningsfragan (Stockholm: Bonnier, 1934) (أزمة في موضوع السكان)

الإصلاحات ليس فقط في تصفية الفقر، بل أن السويد، أيضاً، أصبحت إحدى أغنى الدول في العالم في أواخر الثمانينات. (ولو أنها تواجه مشاكل اقتصادية هامة منذ ذلك التاريخ).

وقد طَوَّر ميردال نظريته بعد أن أدرك بأن نظرية التغير الاجتماعي ضرورية للباحث قبل أن يشرع بملاحظة الوقائع، وبعد أن أبصرَ النواقص في النظريات الكلاسيكية الجديدة كوسيلة لتحليل المشاكل التي قرَّرَ درسها. والنظرية، بالنسبة له، هي رؤيا واسعة لماهية الوقائع الجوهرية (المفاهيم) والعلاقات السببية بين الوقائع (نظرية التغير الاجتماعي). وقد عرِّفَتْ نظريته للتغير الاجتماعي مبدأً التعليل الدائري والتراكمي principle of circular and cumulative causation. وهذه عملية تعليل ديناميكية، أدرك فيها ميردال العلاقات المتبادلة بين كل العوامل الهامة الاقتصادية وغير الاقتصادية المنخرطة في عملية التغير الاجتماعي، إضافة إلى الطبيعة المقفلة للجوانب الدائرية والتراكمية للتغير. ووفقاً لتعابير ميردال، فإن عملية التغير الاجتماعي تتبع من التغيرات في كل العوامل ذات الصلة، الضرورية، لتحفيز التعليل الدائري بحيث أن العملية الاجتماعية تميل لأن تصبح تراكمية، وتستجمع السرعة بمعدل متسارع في الغالب. أولاً، إن التغير في ظرف داخلي معين endogenous condition سوف يحفز رد فعل في الظروف الداخلية الثانوية. وهذه التغيرات، بدورها، يُرَجَّح أن تولد، على المدى الطويل، تغيرات أخرى حينما تخلق العلاقات المتبادلة بين الظروف والتغيرات عملية تعليل تراكمية، في حين أن النظام الاجتماعي يتحرك باستمرار بعيداً عن أي وضع توازني. وقد حاججَ ميردال بأن التغيرات الحاصلة تحفز التغير الاجتماعي في اتجاه واحد (آثار إيجابية أو "انتشارية" spread effects ؛ آثار سلبية أو "تراجعية" backwash effects)، وأن المكان النهائي لاستقرار النظام لا يسهلُ التنبؤ به. وذلك لأن "معاملات الارتباط المتبادل coefficients of interrelation بين كل الظروف

في النظام الاجتماعي. وفترات الإبطاء time lags. غير معروفة عادةً. [ولذلك]، فإن معرفتنا بها غير دقيقة تماماً<sup>(92)</sup>.

" يمكن تشخيص الاتجاهات لغرض وضع السياسة، ولكن الدقة في التنبؤات غير متوقعة. إن مسألة ما إذا كان تأثير السياسة يستهل حركة إيجابية أم سلبية يعتمد على ما إذا كان هذا التأثير الأولي له أثر مفضل أو غير مفضل على أي من متغيرات ميردال الأساسية الستة المتعلقة بالتنمية: الإنتاج والدخل، شروط الإنتاج، مستوى الاستهلاك، المواقف من الحياة والعمل، المؤسسات، والسياسة العامة. وقد خصص ميردال لكل متغير قيمةً متساوية بحيث أن أي تغير صعوداً أو هبوطاً في متغير ما يسحب بالضرورة المتغير الآخر بنفس الاتجاه.

إن التغيرات الإيجابية في أحد الشروط (كزيادة مستوى الاستهلاك، مثلاً) ستؤدي إلى تغيرات ثانوية، تحسن بدورها شرطاً آخر (إنتاجية العامل) الذي يساعد، بدوره، على تحقيق إنتاج ودخل أكبر، مما يكمل الحلقة من خلال المساعدة على تحقيق زيادة أكبر في الاستهلاك، الذي كان هو الشرط الأولي.

كان ميردال مؤمناً بأن نظريته للتعليل الدائري تبرر التدخل الحكومي النشط لتشجيع التنمية: وقد حاجج بأن الميل لعدم المساواة هو نتيجة لفعل قوى السوق غير المقيدة - وبخاصة حينما كان مستوى تظهور الاقتصادي ضئيلاً بحيث أن قسماً من السكان يمكن أن يوصف على أنه في حالة فقر<sup>(93)</sup>.

وكان ميردال يؤيد، بشكل خاص، الإصلاحات التعليمية والمؤسسية، مشيراً إلى أن هذه الإصلاحات ليس فقط تعوق تزايد الفقر، بل من شأنها أيضاً تعزيز إنتاجية المعوزين بحيث أن التنمية في اتجاه إيجابي سوف تعقب ذلك. وبدلاً من اقتراح إصلاحات على غرار

<sup>92</sup> - Gunnar Myrdal, What Is Economic Development? Journal of Economic Issues vol. 8 (1974): 729-736

<sup>93</sup> - Gunnar Myrdal, Rich Lands and Poor (New York: Harper & Brothers), 1957.

وصفات كتب الطبخ، فإن طريقة ميردال كانت تعتمد على تطوير السياسات بصورة متواصلة ومنهجية (كما يلعب المرء الشطرنج) تقوم على مكتشفات تحليل المجتمع أو الإقليم المعني على نحو معمق ومركب.

#### دراسته لوضع الزوج الامريكين: (94)

جاءت دراسة ميردال عن وضع الزوج الامريكين بمبادرة من مؤسسة "كارنجي" عام 1937، وأجريت الدراسة الميدانية (1938-1940)، وقد صممت هذه الدراسة لتكون دراسة شاملة عن وضع الزوج في أمريكا، وكانت كذلك بالفعل.

واختير ميردال وهو عالم متخصص في الاقتصاد الاجتماعي، وله سمعته الدولية ليدير مشروع البحث، لأنه جاء من بلد لا تضم نسبة كبيرة من الزوج وبلده ليس له تاريخ في التدخل الاستعماري، وقد اصطحب معه من السويد "ريتشارد ستيرنر" وبدء العمل بالتجول طويلا وبشكل مكثف بأرجاء الجنوب (لان في الجنوب يوجد مزارع كبيرة).

ويعد هذا المشروع أكبر مشروع مشترك يقوم به العلماء الاجتماعيون الأمريكيين حتى ذلك التاريخ، بحيث يضم 150 باحث كمستشارين، خبراء، باحثين ومؤلفين...، وتضم قائمة المشاركين نسبة كبيرة من علماء الاجتماع الذين كانوا على قيد الحياة آنذاك، فقد ظهرت ثلاث مجلدات على الجوانب الاجتماعية لوضع الزوج قبل اكتمال التقرير الرئيسي.

كما ظهرت كتب عديدة اعتمدت على بيانات هذه الدراسة ويتسع مجال هذا البحث ليضم:

تاريخ الزوج وأصولهم وتركيبهم والخصائص الفيزيكية للسكان الزوج واختبارات الذكاء واختبارات الشخصية، وعرضا للبيانات التعداد ونفدها، وتم الاعتماد على الاستبيان وتاريخ الحالة النفسي وتحليل الصور النمطية والإيديولوجيات الشائعة بين البيض عن الزوج

94- تيودور كابلوف، مرجع سابق، ص ص 59-60.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

والجريمة والتعصب ودور الزوج في الصناعة والزراعة وقطاع الأعمال الخاص والتعليم والحكومة وتفاوت الأجور والتشريعات المتصلة بالمسائل العرقية وغيرها من الموضوعات".

أسباب مشكلة الزوج الأمريكيين: (95)

إن الموضوع الأساسي لكتاب التناقض الأمريكي يبدو في غاية البساطة كما يشير "ميردال" في مقدمة الكتاب التي كتبها في تقرير البحث حيث تقول:

إن مشكلة الزوج الأمريكيين هي مشكلة متأصلة في قلوب الشعب الأمريكي، وهنا يكمن أساس التوتر بين الاثنيات ويستمر الصراع وهو جوهر هذا البحث، ومع إن الدراسة تغطي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين الجماعات الاثنية فان مكن المشكلة هو:

-الأزمة الأخلاقية للشعب الأمريكي.

- الصراع العنيف بين الأحكام القيمية (العقيدة الأمريكية).

- الحقد الاقتصادي والاجتماعي.

- التعصب الجماعي ضد أشخاص أو نماذج معينة من الناس.

وبهذا نستنتج أن أسباب مشكلة الزوج الأمريكيين ينبغي البحث عنها في معتقدات وتصرفات الأغلبية البيضاء لا في معتقدات وتصرفات الأقلية السوداء".

الافتراضات التي توصل إليها غونار ميردال من خلال الدراسة: (96)

-استمرار هجرة الزوج الجنوبيين إلى المناطق الشمالية.

- لاحظت الدور الهام الذي يقوم به رجال الشرطة البيض في أحياء الزوج.

<sup>95</sup>- محمد الجوهري، علم الاجتماع التطبيقي، مرجع سابق، ص161.

<sup>96</sup>- نفس المرجع السابق، ص 162.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

- كشفت عن المشاعر العدوانية المكبوتة التي عبر عنها المنادون بالقومية السوداء.

- القاسم المشترك في المشكلة العرقية هو رفض الأمريكيين البيض الاندماج مع السكان السود.

- الاعتماد على إجراءات الفصل العنصري من أجل الحيلولة دون قيام علاقات وثيقة معهم واسماه "ميردال" بالنظام التراتبي.

### النظام التراتبي ومبدأ التصاعد والتراكم

#### 1. مفهوم النظام التراتبي: (97)

هو نظام للتمييز العنصري عند الرجل الأبيض المضاد للنظام التراتبي للتمييز العنصري عند السود، ويتميز النظام التراتبي عند البيض على:

\*تحريم الزواج.

\*الاتصال الجنسي بين الرجل الزنجي والمرأة البيضاء.

\*وضع حواجز أمام قيام علاقات اجتماعية وثيقة.

\*الفصل في الأماكن العامة.

\*الحرمان من حق التصويت الانتخابي والمعاملة المتحيزة من جانب المؤسسات العامة.

\*التمييز الاقتصادي".

<sup>97</sup>- المرجع السابق، ص163.

يعد بمثابة الآلية التي تبقى الزوج في فقرهم، ويرى "ميردال" أن تعصب البيض وتحيزهم يحافظ على إبقاء الزوج في وضع متدني من حيث مستويات المعيشة، الصحة، التعليم، الآداب الاجتماعية، والعادات الأخلاقية، وهذا الوضع المتدني الذي يوجد فيه الزوج يدعم بدوره تعصب البيض ضدهم، وعليه فإن جميع عوامل الحرمان متداخلة ومتشابكة، غير أن ميردال وصف لنا الوضع الاقتصادي للزوج الأمريكيين بأنه وضع مرضي من حيث:

\* يمتلكون ممتلكات محدودة.

\* المعدات المنزلية غير كافية.

\* دخلهم منخفض وغير منتظم.

\* ترتفع البطالة بين الزوج بنسبة أعلى بكثير بالنسبة لمعدلها في المجتمع.

هنا دعا "غونار ميردال" إلى تحسين ظروف الزوج الاقتصادية بالاستناد إلى مراكز اتخاذ القرار ليتمكن من الاندماج في المجتمع والثقافة الأمريكية".

<sup>98</sup> - domenico loxurdo, il révisionis mostrico, problemi emiti, laterja, Bari, 1996, p258.

"ظهرت نظرية الوصم الاجتماعي في الخمسينات من القرن الماضي كتفسير للسلوك الانحرافي على يد عالم الاجتماع الأمريكي أدوين ليمرت، فمن خلال زيارته لمنطقة ألاسكا لاحظ ليمرت أن أطفال بعض القبائل دون بعضهما يحدون صعوبة في مخارج الحروف أو ما يسمى بالتأتأة وبعد إجراء عدة أبحاث تبين له أن الأطفال ذوي التأتأة ينحدرون بدون استثناء من القبائل التي تحرص على النطق الفصيح وتعتبره معيارا لتصنيف المنتمين إليها، فخلصها إلى أن الخوف من الوصم بكونهم ليسوا فصحيين أدى إلى تكون التأتأة في كلامهم. إذن نظرة المجتمع الذي يعيشون فيه هي المسؤولة عن ما يمكن تسميته بالسلوك غير القومي أو الانحرافي بالنسبة إليهم. غير أن معالم الوصم الاجتماعي لم تبرز كنظرية قائمة الذات إلا في السبعينات وتحديدا ابتداء من سنة 1970 مع هوارد بيكر من خلال مقاله الشهير الغريب" (99).

#### نبذة عن هوارد بيكر (1925-2014): (100)

هوارد بيكر عالم اجتماع أمريكي ولد في 18 ابريل 1928 في شيكاغو، بعد أن كان أستاذ في جامعة نورث وسترن وجامعة واشنطن في سياتل.

وهو سياسي ومحامي ودبلوماسي من الولايات المتحدة الأمريكية وسفير الولايات المتحدة الأمريكية في اليابان.

كما تولى منصب رئيس موظفي البيت الأبيض وهو عضو في الحزب الجمهوري.

<sup>99</sup> - voir donald r. cresse, criminologie research and the definition of crimes, american journal of sociology L V I, may 1951, p 546- 551.

<sup>100</sup> - howard becker, reconnait également que la distinction entre phénomènes (fonctionnels), european journal of sociology, II, 1961, p 170- 179.

## تعريف الوصم:

"يعرف الوصم بكونه عملية اجتماعية تحدد مدى تأثير هوية الشخص بنظرة المجتمع إليه اعتمادا على معيار فعلي أو جسدي فعندما يرصد فرد يخالف القواعد العامة لمجتمعه بشكل أو بآخر وذلك نتيجة لاختلاف في خاصية من خصائصه الجسمية أو العقلية أو الحسية أو الاجتماعية أو الأخلاقية سواء كانت فطرية أو مكتسبة، يجعل منه عرضة للوصم من قبل المشاهد المجتمعي مما يولد لديه الشعور بالرفض والاعتزاز في وسط يفترض ب هان يكون منه واليه، فيفقد ذلك منزلته الاجتماعية الأصلية ويكتسب منزلة اجتماعية جديدة ويهيج بذلك من الأفراد الموصومين فيوضع في نظره في خانة الآخرين أو الغرباء، متخيلا في ذهنه بأنه انتقل فعلا من منزلة لأخرى، ولكن في حقيقة الأمر إن كل ما وقع له من تغير في صورته الذاتية. هذه الفكرة التي حاول بيكر إبرازها أي أن المجتمع هو الذي يخلق الانقسام والتصدع داخله برفضه وعدم تقبله ولو على اختلاف الأفراد المنتمين إليه"<sup>(101)</sup>.

"وهو إطلاق أو إلصاق اختلاف غير مرغوب فيه للفرد من جانب الآخرين، يحرمه من التقبل الاجتماعي أو تأييد المجتمع له، لأنه شخص مختلف عن بقية الأشخاص في المجتمع، وهذا الاختلاف يخص خاصية جسمية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية تجعله مغتربا عن المجتمع الذي يعيش فيه نظرا لحالة الرفض التي يعاني منها والتي تؤدي به إلى الشعور بعدم التوازن النفسي والاجتماعي، ويعرف بيكر الوصم بأنه عملية اجتماعية تحدد مدى تأثير هوية الشخص بنظرة المجتمع إليه، اعتمادا على معيار فعلي أو جسدي، فعند اختلاف الفرد في خاصية من خصائصه الجسمية أو العقلية أو الحسية فيجعل منه عرضة للوصم من قبل المشاهد المجتمعي"<sup>(102)</sup>.

<sup>101</sup> - bronislaw malinowski, crime and custom in savage society (new york, humanities press, 1926), p77-80.

<sup>102</sup> - محمد محمد شفيق، علم النفس الاجتماعي، ط1، القاهرة، 2000، ص49.

ولعل أفضل من يمثل هذه النظرة " هوارد بيكر Beckerr. Howard S " حيث يعرض أرائه في كتابه المعنون ( Outsiders : Studies in the Sociology of Deviance (1973) ، ويذهب بيكر إلي أن الجماعات الاجتماعية هي التي تضع القواعد والمعايير التي يمثل الخروج عليها انحرافا، ويوصم منتهكيها بالخارجين. فالانحراف ليس صفة لسلك يرتكبه شخص ما ، بقدر ما هو نتاج لقيام آخرين بتطبيق قواعد معينة وجزاءات محددة علي شخص " مذنب " أن ذلك يعني أن المنحرف هو ذلك الشخص الذي طبقت عليه هذه التسمية ، بينما السلوك الانحرافي هو ذلك السلوك الذي أطلق عليه الأفراد تلك الصفة (103).

ولقد فحص بيكر الدور الذي يلعبه مقاولوا الأخلاق Moral Entrepreneurs والذي يتلخص في صنع القواعد وكيفية فرضها بالقوة علي المجتمع، أي من يحددون أنماط السلوك غير المرغوب، وتطبيق العمليات الاجتماعية المترتبة عليه، يدخل في تلك الفئة الشرعية (يعني أعضاء الهيئات التشريعية) والأطباء النفسيين، والصحفيين، والوعاظ، ونواب العموم والمحامين ... الخ (104).

وفي مقالة بعنوان (1967) (105) Whose side Are We On ? يؤكد بيكر علي ضرورة قبول الأوضاع العامة والمعاني الأخلاقية التي ينادي بها الصفوة ويحذر من الانسياق - علي نحو ما يفعل بعض علماء الاجتماع - وراء الأحكام القيمة أو اختزال أو تجزئة المشكلات الاجتماعية علي نحو ضيق (106).

<sup>103</sup> - Howards S . Becker . Outsiders : 1973, studies in The sociology of Deviance New york Free Press . P 99.

<sup>104</sup> - Jerome Manize : Analyzing social problem of cit , P. 15.

<sup>105</sup> - OP . cit . 16.

<sup>106</sup> - Martin S . Wenberg and Earl Rubington , The Solution of Social Problem , OP . cit , p 245.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

وعلي الرغم من أن نموذج الوصم الاجتماعي ، وقد نجح في لفت الانتباه إلي مثل هذه الآراء والتصورات المتصلة بفهم وتحليل المشكلات الاجتماعية علي أساس الدراسة العملية لأنماط الانحراف ، والعمليات الأساسية التي يتضح علي ضوءها التنظيم الاجتماعي للمحرفين ، إلا أن النموذج قد وقع في بعض المثالب ، التي واجهه بسببها كثير من الانتقادات التي وجهها إليها بعض نقاده ومعارضيه ، فمن قال بأن أصحاب نظرية الوصم ، وإن كانوا قد أثاروا بعض التساؤلات حول أساس الوصم ونتائجه ، إلا أنهم لم يقدموا أية مستويات أو معايير بديلة لتعديل أو تحسين الأحكام المجتمعية بشأن إطلاق التسميات علي مرتكبي الأفعال المنحرفة ، ومن جانب آخر ، فقد أكد نموذج الوصم أن هذا النموذج يميل إلي تجاهل الضرر الفعلي الذي تحدثه أشكال معينة من الانحراف وأن التركيز علي تأثير وصمة العار قد جعل الدراسة الاجتماعية لضحايا الظلم والاضطهاد Sociology of Underdog تعفي المحرف عن مسؤوليته عن فعلة<sup>(107)</sup>، وأن النظرة إلي المحرف كضحية إنما تلق باللوم والمسئولية علي المجتمع وجماعته المهيمنة<sup>(108)</sup>، وثمة نقد آخر مؤداه أن نموذج الوصم، قد بالغ في تبسيط أسباب الانحراف . حيث يذهب بعض أنصاره إلي القول بأن إطلاق الصفات (مريض عقلي - مجرم ... الخ، مثلا) هي الأسباب الرئيسية للانحراف<sup>(109)</sup>. وفي الوقت الذي يجمع فيه، النقاد، علي أن أسباب الانحراف الأولي لا تكمن في عملية الوصم ذاتها وإنما في مجموعة أخرى متنوعة من الحالات مثل الصراع والفقر مثلا<sup>(110)</sup>.

وفي معرض تحليل هذا الجانب من الانتقادات الموجهة إلي أنصار هذا النموذج، تؤكد (شادية فناوي) بأنهم أي (الأنصار) لم يحاولوا الإجابة عن بعض التساؤلات مثل لماذا يستمر هذا الوضع غير العادل الذي يحتم وجود واستمرار عملية التسمية بين الفرد مقترف السلوك

107 - Schur , Edwin M , Harper & 1971, Labeling Deviant behavior New york: مائيس ج . نقلا عن جبروم ج . مائيس  
تحليل المشكلات الاجتماعية ( الترجمة العربية ) . مصدر سابق ص 59 - 60

108 - المرجع السابق، ص60.

109 - Schur , Thomes , Being Mentally ill . Chicego : Aldine , 1966 : مائيس تحليل المشكلات :  
الاجتماعية ، مصدر سابق ص 60

110 - Waller R Gove , social Reaction as an Explanation of Mental Illness : an Evaluation American  
Sociological Review 35 ( October 1970 ) PP. 873 - 844.

المنحرف ومجموعة الأفراد الذين يسمون سلوكه بالانحراف؟ وما هي طبيعة التكوين الاجتماعي - الاقتصادي التي تحتم شروطه المجتمعية انتشار الجريمة (الانحراف) بين الأغلبية العظمى من أبناء الطبقات الدنيا<sup>(111)</sup>.

والحقيقة أن بعض أنصار هذا النموذج يذهبون إلى أن البناء الاجتماعي - الاقتصادي للمجتمع الحديث، هو بناء غاية في التعقيد، لا يتيح لكل أفراد المساهمة في وضع قواعده وأداء معايير. فالمجتمع الحديث ملئ بالعديد من الجماعات الاجتماعية ذات العادات والتقاليد والثقافات المختلفة فضلا عن تباين المصالح والأهداف. الأمر الذي يترتب عليه أن مسألة اعتراض بعض الجماعات الاجتماعية علي ما يسود المجتمع من قواعد ومعايير أو قوانين إنما يعد أمرا طبيعيا، باعتباره - فيما يقرر هوارد بيكر Becker . H . نتاجا عمليا لتفاعل الجماعات الاجتماعية بقيمتها الاجتماعية المختلفة. ومن ثم فإن عملية الاختلاف مع - أو الاعتراض على - هذه المعايير، لا يجب بأي حال من الأحوال أن تحول الباحثين عن هدفهم الأساسي وهو الوصف الدقيق للواقع الراهن، والكشف عن أسباب الظواهر الموجودة به والمشكلات الاجتماعية المنبثقة عنها، وهو أمر لم يسعى له أنصار هذا النموذج على نحو دقيق، ولم تكشف تحليلاتهم عن وعي كبير بأهمية البحث في العلاقات السببية المتصلة بظهور المشكلات الاجتماعية.

وعلى أية حال فإن ما نود الإشارة إليه هنا، أن اعتماد نموذج التسمية على خاصية رد الفعل لتحديد أنماط السلوك باعتبارها مقبولة أو مرفوضة أو انحرافية أو سوية، يعني أن الانحراف كصفة خارجة عن الفاعل أو الفعل، لا يتم إلا في إطار ما يخلقه رد الفعل الاجتماعي من استجابات تؤكد وجود الانحراف أو تنفيه. وعلى الرغم من تأكيد أنصار هذا النموذج على أن الأفعال تتحدد باعتبارها انحرافية، بواسطة خاصية (رد الفعل) نحوها، إلا أنها لم تفسر نوع

<sup>111</sup> - شادية قناوي : سوسيولوجية المشكلات الاجتماعية وأزمة علم الاجتماع مصدر سابق و ص 93 - 96.

الاستجابات التي تحدد الأفعال الانحرافية أو نماذج ردود الأفعال المجتمعية التي يقوم بهذه الوظيفة. كما يري منتقدي هذا النموذج أنه بتركيزه علي ممارسات مؤسسية، يضيق من المصادر العريضة للمشكلات الاجتماعية، وبتوجيهه الكلي إلي إصلاح الخلل المؤسسي أو (سوء إدارة) المشكلات الاجتماعية، الأمر الذي أضعف إسهامه في تطوير رؤية اجتماعية سياسية، يؤكد علي المصادر البنائية للمشكلات الاجتماعية في المجتمع المعاصر<sup>(112)</sup>.

يقدم لنا Howard Becker في مؤلفه " Outsiders " إغناء للتحليل ف"الاختلافات في إرساء معايير وتطبيقها على أناس آخرين هي في الأساس اختلافات في السلطة/القوة (شرعية كانت أو متعالية عنها). إن المجموعات الأكثر قدرة على تطبيق معاييرها هي تلك التي يعطيها موقعها الاجتماعي الأسلحة والسلطة. إن اختلافات السن، الجنس، الطبقة والأصل الاثني هي كلها مرتبطة باختلافات السلطة<sup>(113)</sup>.

#### الفعل الانحرافي ذاته: (114)

أن ما يحصل بعد الوصم هو الذي يحدد الانحراف من غيره أي الإشهار في الانحراف من عدمه، ومن ثم يتم الانتقال من المنزلة الاجتماعية الأصلية مكتسبا منزلة اجتماعية جديدة فيصبح بذلك هو ينتمي مع الأفراد الموصومين بنفس سبب وصمه وأما ما دونهم من الناس فيوضعون في نظره في خانة الغرباء، وبالتالي يقترب أكثر من الأفراد المسفنتين في نفس الخانة الخاصة به، يقدر ما يبتعد من الخانة التي هو فيها وما وقع هنا هو تغيير في صورته الذاتية.

112 - سالم ساري . مصدر سابق ص 56.

113 - ROCHE S., cité par MEYRAND R., « Comment devient-on délinquant ? » Article de la rubrique « Le point sur... » in « Comment devient-on délinquant ? », mensuel n°176, novembre 2006

114 - سامية جابر، الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص 98.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

وفي هذا يرى بيكر انه من المفضل أن نرجع في دراسته السلوك الانحرافي إلى ردة فعل المجتمع اتجاه السلوك أي ينبغي أن ندرس قضية الانحراف من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

1) ما طبيعة النماذج السلوكية والخصائص الشخصية التي ينظر إليها أبناء المجتمع؟

ردة فعل المجتمع إزاء السلوك الانحرافي: (115)

وبناء على ما سبق فان المجتمع هو الذي يحدد الانحراف وذلك من خلال إقرار بعض القواعد التي يعد انتهاكها انحراف من منظور أبناء ذلك المجتمع، وبهذا فان الانحراف ليس خاصية الفعل الذي يرتكبه الإنسان ولنها مسألة تتعلق بثقافة المجتمع. بمعنى آخر انه خاصية يخلدها المجتمع على سلوك معين في ضوء القيم والمعايير السائدة، إذن الوصم لا يحصل إلا عندما يدرك الشخص انه موصوم من قبل المجتمع بسبب ما تنسب إليه.

"مثال: حين يقضي شخص عقوبة سجنية سواء كان جانبا أو بريئا فان المشاهد المجتمعي يضعه في خانة السوابق مما يخلق لديه عدة عراقيل في إعادة إدماجه إلى المجتمع، كإيجاد وظيفة أخرى اكترواء منزل فينتهي به الأمر مرتكبا لجناية أخرى تعيده إلى السجن.

لان وصم شخص ما بصفة الانحراف يعني أن هذا الفرد والجماعة المحيطة به ينبغي أن يكتفوا أنفسهم على التفاعل ما على اعتبار إن هذا الشخص ذو شخصية قاسية وغير سوية وذلك يؤدي إلى عملية الوصم وبالتالي يؤدي إلى إعادة تقويم هويته العامة عن طريق الآخرين ثم يتعاملون معه على أساس هذا التقييم وتقتصر آثار هذا الوصم الشخص فقط، ويؤكد إن المواقف السلبية اتجاه المنحرفين من قبل أفراد المجتمع والمؤسسات الوصمية وما

115- نفس المرجع السابق، ص99.

ينتج عنها من عزلة ورفض تؤدي بهم لاستخدام أساليب ووسائل غير مشروعة في حياتهم ومن ثم يلجئون إلى امتهان الانحراف للخروج من أزمة العزلة الاجتماعية<sup>(116)</sup>.

إن اتجاه كثير من الموصومين والمرفوضين اجتماعيا إلى محاولة الانخراط في الجماعات الإجرامية الاحترافية والمنظمة باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي يجدون من خلالها مخرجا للرفض الاجتماعي لهم مبرر لاستمرارهم في النشاط الإجرامي الذي يمثل مخرجا للحياة والمعيشة التي فقدوها في الحياة الشرعية نتيجة للرفض الاجتماعي من خلال إطلاق المسميات والنعوت الغير مرغوب فيها<sup>(117)</sup>.

#### أهم المعتقدات التي جاء بها هوارد بيكر:

"الوصم إذن لا يحدث إلا عندما يدرك الشخص انه موصوم من قبل المجتمع بسبب ما ينسب إليه، فمثلا حين يقضي شخص ما عقوبة السجن سواء كان جانبا أمر بريء فان المشاهد المجتمعي يضعه في خانة السوابق مما يخلق لديه عدة عراقيل في إعادة إدماجه في المجتمع كإيجاد وظيفة أو عمل أو حتى مسكن مما لا يترك له مجالا يندمج فيه غير الوسط السجني فينتهي به الأمر مرتكبا لجنحة أو جناية أخرى تعيده إلى السجن، فالمجتمع المحيط يهتم بشكل سلبي بالفعل أو السلوك المنحرف إن صح القول أولا ثم ينتقل هذا الوصم من الفعل إلى صاحب الفعل بنفسه، فمهما كانت الأسباب التي دفعت هذا الشخص إلى ارتكاب الفعل المنحرف في بادئ الأمر فان سبب تكريره لنفس السلوك الانحرافي هم عدم تقبل وتأييد المجتمع له من خلال إطلاق المسميات والنعوت الغير مرغوب فيها<sup>(118)</sup>.

"وبناء على ذلك يوضح هوارد بيكر أن الانحراف ينشئه ويخلقه المجتمع، وهو لا يعني المفهوم العام الذي يشير إلى إن أسباب الانحراف تتبع من الواقع الاجتماعي للمنحرف أو من المتغيرات الاجتماعية التي تدفعه إلى الانحراف وإنما بمعنى أن الجماعات تساعد على

<sup>116</sup> - سامية جابر، مرجع سابق، ص98.

<sup>117</sup> - محمد محمد شفيق، مرجع سابق، ص51.

<sup>118</sup> - robert k, merton. (social problems and social theory), brace and world inc, 1961, p 697- 737.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

خلق الانحراف بوضعها القواعد التي تمثل الخروج عنها انحرافا وتطبيقيا لهذه القواعد الاجتماعية ضد بعض الأشخاص، ومن ثم وهمهم بالفاجرين عن القواعد الاجتماعية ووفقا لذلك يصبح تعريف الانحراف لا علاقة له بواقع أو خصائص الفعل الذي يخالفه الفرد، وإنما هو إنتاج مباشر لما قد يترتب على تطبيق القواعد الجزئية ضد المخالف من آثار سلبية ومن ثم فالمنحرف هو الشخص الذي يتم إلحاق الوصمة به، أو السلوك الذي يوصم الفرد به من قبل الجماعة أو المجتمع، إذن فالمجتمعات هي التي تحدد الانحراف بإقرار بعض القواعد التي يعد انتهاكها انحرافاً<sup>(119)</sup>.

---

<sup>119</sup> - american sociology review, v (february, 1940), p 11-12.

ثامنا: الجندي الأمريكي لصموئيل ستوفر

نبذة تاريخية عن أعمال الجندي الأمريكي صمويل ستوفر: (120)

بعد الهجوم الياباني على بيرل هارثور بفترة قصيرة تم تعيين عالم الاجتماع المشهور صموئيل ستوفر مديرا مدنيا لفرع البحوث المنشأ حديثا.

والذي أصبح فيما بعد إثارة المعلومات والتعليم بالقوات المسلحة الأمريكية، ورأس هذه الإدارة الجنرال فريديريك اوسيون، وهو رجل أعمال سابق وعالم اجتماع أيضا، وقد انشأ فرع البحوث، كما يقول ستوفر للقيام بمهام هندسية اجتماعية وليست مهاما علمية، وكانت وظيفية هي إجراء مسح الاتجاهات بين الجنود عندما تشعر الإدارات العليا بمشكلات تحتاج إلى معلومات شاملة ذات طبيعة مسحية، فقد طلبت تلك الإدارات على سبيل المثال تحليل العوامل التي حطت الجنود في مسرح العمليات بجنوب المحيط الهادي ينفرون من استخدام عقار الأثيرين للوقاية من الملاريا والكشف عن أي نوع من نوعي الأكواخ الذي يفضله الجنود في الأسكا، ودراسة حالة مغاسل الملايين في انتماء واتجاهات الجنود نحو الصينيين في مسرح العمليات بالهند وبورما.

ويعد كثير من هذه الموضوعات تافها، غير أن بعضا منها له أهمية واضحة، فقد قام فرع البحوث على سبيل المثال بتصميم نظام النقط الذي استخدم في تحديد الأولويات لتشغيل الجنود عند تسريح القوات المسلحة مع نهاية الحرب.

كما أن دراسات هذا الفرع وفرت المعلومات اللازمة للتشريع الخاص بمساعدة المحاربين للتعليم العالي.

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية قام فرع البحوث بمقابلة ما يزيد 500 ألف شخص بالاستعانة بأكثر من 200 استبيان مختلف وقام بإعداد عدة مئات من التقارير عن نتائجه لأغراض

<sup>120</sup> - محمد الجوهري، مرجع سابق، ص181.

عسكرية متعددة، ومع ذلك لم تستغل مطلقا القيمة العملية لهذه البيانات الغزيرة، وقد عهد بهذه المهمة إلى لجنة خاصة بمجلس بحوث العلوم الاجتماعية برئاسة الجنرال اوسبورون".

"ونفذت تحت إشراف البروفيسور ستوفر بمنحة من مؤسسة كارتيجي في السنوات الخمس التي أعقبت الحرب، وهكذا تحول فرع البحوث في ظل نفس القيادة إلى فريق بحث علمي برعاية مدنية، وقد نشرت النتائج في أربع مجلدات تحت عنوان "دراسات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية الثانية"<sup>(121)</sup>.

### مجلدات الجندي الأمريكي: (122)

"والتي اشتهرت باسم الجندي الأمريكي من عنوان المجلد الأولين، وكان هذا المشروع على غرار مشروع ميردال، تعاونيا على أوسع نطاق إذ وصلت قائمة الأشخاص العلميين والإداريين إلى 134 اسما، وتبرز صفحات العناوين في المجلدات الأربعة أسماء خمسة عشر مؤلفا رئيسيا، ولم يصارع أي بحث اجتماعيا بعد ذلك هذا البحث في مجاله.

وعلى الرغم من أعمال كتاب الجندي الأمريكي على علوم عديدة خاصة علم النفس وعلم النفس الاجتماعي، فإنه بعد سوسولوجيا في منهجه (مسوح الاتجاهات وفي طبيعة نتائجه، كما أن معظم التفسيرات والتحليلية التي ساعدت على نشر هذا الكتاب، وركزت على المضامين السوسولوجية للبيانات لا على أهميتها النفسية أو التاريخية أو الإدارية.

ويختص المجلد الأول من التقرير بالتكيف الشخصي للجنود خاصة جموع الجنود المدنيين الذين خدموا في الجيش بصفة مؤقتة أثناء الحرب العالمية الثانية ويهتم الجنود الثاني بالمشكلات المتعلقة بالحرب وما بعدها.

<sup>121</sup> - vol I samuel A , stouffer et al, the american soletier, adjustment dulrbing army life, princeton, N , j , princeton university press, 1949.

<sup>122</sup> - محمد الجوهري، مرجع سابق، ص 183.

ويبحث المجلد الثالث رد فعل جمهور المشاهد بين العسكريين للأفلام التوجيهية وغيرها من المواد الدعائية، ويعد هذا المجلد عن موضوع بقية الكتاب إلى حد ما، ويتضمن المجلد الرابع معالجة دقيقة لنظرية قياس الاتجاهات وتطبيقها، ومناقشة لثلاثة مناهج دقيقة لتحليل بيانات المسح، وهي تحليل المقاييس، وتحليل البناء الكامن واستخدام استجابات المسح لأغراض تنبؤية.

وتتميز موضوعات المجلدات الأربعة بالغرابة والارتباط الوثيق لدرجة أن التفسيرات اللاحقة سارت على طريقة الرجل الهندوسي الأعمى الذي وصف أحد الأفيال بأنه يشبه الحائط، أو الشجرة، أو المروحة أو الثعبان حسب الجزء الذي يلمسه من جسم الفيل، ولذلك يذهب ادوارد شيلز في مقالته الشهيرة إلى أن الروح المعنوية للجندي المقاتل تعتمد بصفة أساسية على روابط جماعته الأولية في الجيش، وإن هذه الروابط تقلل من اعتماد الروح المعنوية للجندي المقاتل على الصلاة التي تعد أكثر أهمية من رفقة السلاح".

### تأثير الحرمان النسبي والمطلق على الزوج في كلتا المعسكرات: (123)

لقد أكد عدد من البارعين على نحو مماثل على تأثير الحرمان النسبي فقد لوحظ على سبيل المثال أن الزوج في المعسكرات الشمالية كانوا أسوأ تكيفا بصفة عامة من الزوج في المعسكرات الجنوبية، لأن أساس المقارنة عند الجندي في الجنوب والشمال على حد سواء كان وضع الشخص المدني وإن وضع الشخص الزنجي المدني في الجنوب كان بمثابة معادل "للمعاملة السيئة للزوج في المعسكرات الجنوبية" وقد أدى هذا التأكيد إلى تحويل الاهتمام عن بعض النتائج الهامة حول الحرمان المطلق، ومنها أيضا الاكتشاف الذي مؤداه أن الوحدات العسكرية تبدأ في التفكك عندما تتعرض للقتال ولاية صورة أخرى من صور المعاناة لفترات طويلة.

123- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص184.

كما أدى تأكيد المعدلين على تأثير الدور والمكانة في تعديل الاتجاهات (بمعنى أن الاختلافات في الدور والمكانة لا تؤدي فحسب إلى الاختلافات في الاتجاه، وإنما تؤدي أيضا إلى الخطأ في حكم الجماعة إلى جماعة أخرى).

أدى إلى إغفال نتيجة هامة هي أن العيش وقت الحرب يعمه الاستياء من سوء استخدام الامتيازات المرئية، وان هذا الشعور له آثار عكسية شديدة على الروح المعنوية باستثناء القوات الجوية التي تسودها ظروف مختلفة".

#### أهداف كتاب الجندي الأمريكي: (124)

ربما يعد كتاب الجندي الأمريكي بمثابة إنقاذ شديد لواحد من أكبر التنظيمات التي عرفها المجتمع الحديث والذي أعده أفراد من داخل التنظيم نفسه وعلى عكس الدراسات المبكرة للمجتمع المحلي والدراسات الحديثة للأنساق التنظيمية التي توصلت إلى أن معظم الناس راضون عن الأنساق الاجتماعية التي وجدوا أنفسهم فيها.

وكشفت بيانات الجندي الأمريكي عن حالة ملحوظة لملايين الرجال المشغولين بنظام شديد من أجل مثل اجتماعية مطلقة في الوقت الذي لا يوجد فيه التزام حقيقي بهذه القضية بين أعداد ضخمة منهم، ولا توجد لديهم ثقة في قادتهم، ولا يوجد لديهم شيء سوى اختيار المعايير التي تنظم حياتهم، وهناك ثلاثة من كل خمسة مقاتلين خدموا في معارك ما وراء البحار كانت لديهم شكوك حول مشروعية الحرب عام 1945، وكان الجيش الأمريكي في الحرب العالمية الثانية يتكون في معظمه من رجال جندوا بهدف كسب حرب ظلت أهدافها الإيديولوجية غامضة بعض الشيء".

"وتبدو الاختلافات في التأثير أكثر وضوحا عندما يؤخذ في الاعتبار للآراء المسبقة (التي تكونت قبل التجربة) والمستوى التعليمي.

فعلى سبيل المثال أدى البرنامج ذو الموقفين إلى إقناع 44 % من الجنود الأكثر تعليماً (الذين كانوا يعارضون الموقف الرسمي في البداية).

بالاتجاه المرغوب فيه كما أحدث نفس البرنامج تأثيراً عكسياً صافياً بين الجنود الأقل تعليماً الذين كانوا في صف الموقف الرسمي منذ البداية.

وقد أجريت هذه التجارب بدون تحفظ على أمل تعليم السلطات العسكرية كيفية التأثير في آراء وعواطف ضباط الصف والجنود.

وقد أنشئ فرع البحوث كما أشار ستوفر إلى ذلك مراراً وتكراراً، بغرض الهندسة الاجتماعية باعتبارها سلاحاً في يد الإدارة العسكرية، وكان الالتزام الصادق من جانب الباحثين بالجهود الحربية هو الذي ساعدهم في تعقيد الأهداف الإدارية للقيادة العليا دون تردد، وعند اكتشاف خلل في نسق الإدارة العسكرية وكان الالتزام الصادق من جانب الباحثين بالجهود الحربية هو الذي ساعدهم في تعقيد الأهداف الإدارية للقيادة العليا دون تردد، تتم معالجته على أنه مشكلات معنوية، ولم يهتم فرع البحوث بإمكانية إصلاح النسق العسكري بالطرق المناسبة.

لأن ذلك لم يدخل ضمن اختصاصات القادة الذين كان فرع البحوث يحاول مساعدتهم ولم تكن الإصلاحات التي تمت بفضل النتائج البحثية ذات تأثير يذكر.

وقد عولجت شكوى جنود المشاة بأنهم لا يعاملون نفس معاملة الجنود في الفروع الأخرى من خلال منحهم شارة الشرف، واقترح الباحثون إجراءات جديدة للأخذ بها في فترة السلام بعد الكشف عن سوء استخدام الأنساق العسكرية للسلطة من خلال القنوات السرية للمفتش العام".

ويوضح المجلد الثالث دون إشارة مقصودة كيفية ظهور هذا الوضع وأسباب عدم المقدرة على معالجته، ويتعلق معظم التجريب في هذا المجلد برد فعل الجنود نحو سلسلة أفلام رائعة بعنوان: "لماذا تقاتل" والتي تعيد إلى الأذهان الأحداث التي أفضت إلى الحرب كما لو كان الجنود الذين يشاهدون تلك الأفلام لم يسمعوها مطلقاً عن هذه الأحداث أو ليست لديهم آراء بشأنها وقت حدوثها، وهذا يفسر أسباب قبول مغزى هذه الأفلام بين المشاهدين العسكريين وتأثيرها المحدود على اتجاهاتهم نحو الحرب.

وهناك تجارب أخرى في الاتصال تتعلق بالدعاية، وهي تجارب نظرية وبسيطة فعلى سبيل المثال تم إعداد نوعيين من البرامج الإذاعية بعد انتهاء الحرب في أوروبا لإقناع الجنود بأنه لا يوجد مبرر وراء تفاؤلهم كان له ما يبهره، وكانت القضية المثارة هي ما إذا كان البرنامج الإذاعي الذي يقدم المزاعم وراء الموقف الرسمي (المتشائم) أكثر إقناعاً من البرنامج الإذاعي الذي يقدم المزاعم وراء الموقفين التفاؤلي والتشاؤمي في محاولة للتنفيذ المزاعم المعارضة للموقف الرسمي، وكان تأثير هذين البرنامجين متعادلاً في بداية الأمر، فقد تغيرت آراء ما يقرب من نصف المشاهدين في كلتا الحالتين إلى الاتجاه المرغوب فيه، غير انه بدأت اختلافات حادة في تأثير البرنامجين الذي استعرضت الموقفين التفاؤلي والتشاؤمي أكثر إقناعاً لمن كانوا يعارضون الموقف الرسمي منذ البداية، وقل إقناعاً وكان البرنامج الذي عرض لوجهة نظر واحد لمن كانوا في صف الموقف الرسمي وكان البرنامج ذو الموقف الواحد أكثر تأثير في الجنود خريجي المدارس العليا والجامعات".

125. ستوفر وزملاؤه، دراسات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية الثانية، المجلد الأول، ص44.

"وقد وجهت انتقادات جادة إلى وجهة النظر الواحدة بعد طبع التقرير، غير أن أصحاب هذه الانتقادات لم يحاولوا الاستفادة من البيانات الغزيرة التي وردت في كتاب الجندي الأمريكي لتطوير برنامج منظم لإصلاح المؤسسات العسكرية، وكانت الإصلاحات الرئيسية التي تمت في الجيش بعد الحرب العالمية الثانية مجرد إصلاحات داخلية متعلقة بتحقيق العدالة العسكرية أو دعمها، وهو الموضوع الذي لم يعالجه كتاب الجندي الأمريكي".

"منذ أول السبعينات وطيلة الثمانينات من القرن الماضي انتعشت خصوصا مع الخطاب السياسي آنذاك الآراء التي ترجع فقر الأفراد إلى أنفسهم وتحملهم مسؤولية عن أوضاعهم وعدم أخذهم بالمبادرة، وفي هذا السياق طرح لويس اوسكار وجود "ثقافة الفقر" في أوساط كبيرة من وجود الناس بحيث أن الفقر ليس نتيجة لنواحي القصور والعجز الفردية بل هو نتاج بنيات ثقافية واجتماعية معينة حيث ينشأ الأطفال في هذا الوسط، وقد عرف "لويس" ثقافة الفقر بأنها طريقة لحياة تنتقل من جيل إلى جيل وتزود الأفراد بأسلوب متميز للمعيشة ووصف ثقافة الفقر من خلال خصائص متعددة اقتصادية واجتماعية ونفسية مترابطة، وقد توسع عالم الاجتماع الأمريكي موراي في أطروحة ثقافة الفقر الذي يعتقد أن هناك نوعين من الفقراء، فهناك فئة لا دخل لها في فقرها مثل الأرمال والأيتام والعجزة وهناك طائفة أخرى تنتمي إلى ثقافة الاتكال والتبعية التي يعتمد أفرادها اعتماد شبه كلي على ما تقدمه الحكومة من معونات ومساعدات وبالتالي يعزفون عن سوق العمل"<sup>(127)</sup>.

### نظرية ثقافة الفقر:

"تبنى الباحث والأنثروبولوجي الأمريكي المختص، من جامعة شيكاغو، لويس أوسكار مفهوم "ثقافة الفقر" في الستينيات من القرن الماضي باعتبارها طبقة خاصة. وقد استمدت الفكرة من خلال ملاحظاته العميقة للمجتمعات الفقيرة بأمريكا الوسطى والجنوبية، وبالخصوص في منطقة بورتوريكو بالمكسيك، والتي اتخذها ميداناً لدراساته.

إنَّ الدرجة التي يجب أن نعتبر فيها الفقر طبقة اجتماعية مختلفة عن بقية الآخرين موضوع تكرر باستمرار في عدد من الدراسات النظرية، فقد سبق أن تحدت بإسهاب الفيلسوف الألماني الشهير كارل ماركس عن البروليتاريا الرثة في كتاباته التي انتقد فيها النظام

<sup>127</sup>- ابراهيم فلول، الثقافة وانتاج الديمقراطية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2001، ص65.

الرأسمالي الأوروبي خلال القرن التاسع عشر. كما قام في العشرينيات ما بين 1950-1960 الباحث الفرنكفوني لابنس بدراسة المقيمين في التجمعات السكنية الانتقالية في فرنسا، وهم أشخاص فقراء جداً، وفي الأساس يفترض أن يكون إيواؤهم هناك انتقالياً فقط، ولكن هؤلاء السكان أقاموا بصورة دائمة، وتزوجوا فيما بينهم، وكانت احتكاكاتهم مع الخارج شبه منعدمة تقريباً، بل وأكثر من ذلك ظهوراً كأنهم مستقرون في هذا الوضع منذ عدة أجيال. كان لهؤلاء الأشخاص الأكثر فقراً جميع مميزات الجماعة الحقيقية المنسجمة، مما جعلنا على صواب في إطلاق وصف طبقة اجتماعية عليهم<sup>(128)</sup> كان لهذا التحليل وهذه الدراسة المتميزة صدى في الأفكار التي وسَّعها لاحقاً أوسكار لويس السابق الذكر، الذي حلَّ في أبحاثه الشهيرة الحياة الفقيرة بالاستناد إلى ثقافة خاصة بمفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية، حيث الفقراء يتقاسمون نظام معتقدات وأنماط سلوك كانوا ينقلونها إلى أولادهم تبعاً بفضل تنشئتهم الاجتماعية الخاصة بهم. وبالطبع فتقافة الفقر هذه كانت متكيفة مع محيطها الخاص، وكانت تسمح لأعضائها بمواجهة صعوبات الحياة اليومية، وهي مثل أية ثقافة أخرى بدون هذا سوف تزول ولا يمكنها الاستمرار في التواجد. هذه الأطروحة حول ثقافة خاصة بالفئات الأكثر فقراً في المجتمعات الصناعية لاقت معارضة قوية في تلك الحقبة من طرف عدد كبير من المختصين في الأنثروبولوجيا الثقافية، لأن هذه الفئات كانت، على الأقل، بأمريكا اللاتينية تسهم حقيقة في الثقافة العامة للفئات العمالية، وكن لها أيضاً بالموازاة تواجد بين الطبقات المتوسطة".

"ظل هذا النوع من التضارب في التحليل والآراء حاضراً باستمرار في الإجابات المقترحة لتفسير الحضور الدائم للفقراء بين المجتمعات الوافدة (المهاجرة تحديداً). غير أن أطروحة ثقافة الفقر التي اختفت لمدة قصيرة ما لبثت أن عادت ثانية إلى الوجود في حالات عديدة، وبقوة أكبر، وقد تم إسقاطها على غيتوات السود في الولايات المتحدة الأمريكية. كما تم

128- يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، الطبعة الأولى، ص 26.

ربطها في حالات أخرى بغياب العمل أو تعذره، والذي يعتبر محددًا رئيساً لهذه الطبقة السفلية داخل المجتمع، وبالنسبة إلى لابنس فإن العالم السفلي المحروم من كل شيء في الضواحي الفرنسية ربما كان يتألف من ورثة جزء من البروليتاريا التي أهملت أثناء فترات تطور الثورة الصناعية".

لقد ظهرت مفاهيم أخرى سابقاً في الدراسات المختصة التي اهتمت بمجال المهمش، ومنها مفهوم الغريب، الذي يعني حسب مقالة ألبين سيمول، مؤسس قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بجامعة شيكاغو، من يقيم في المجتمع على الهامش، فلا يدرك آلياته الحميمة ويبقى على نحو ما خارج الجماعة. وقد تناول موضوع الغريب أيضاً إي شوتز في دراسته عن الغيتو اليهودي. كما تناولته دراسات كثيرة اهتمت بثقافة الزوج في أمريكا وعلاقتها بالتهميش الذي طالهم على يد العرق الأبيض، وتبرز في هذا الصدد أطروحات روبرت بارك التي حاولت تفسير أصل مشاعر العداة العرقية في الفوارق الاقتصادية<sup>(129)</sup>.

وقد تعمق تلميذه من بعده بوكاردوس الذي نشر أطروحته عن الهجرة والمواقف العرقية، والذي يعتبر امتداداً وتعميقاً لأفكار بارك، مع التركيز على العوامل السوسيو نفسية، والقلق النفسي، ومختلف أنواع الإحباط والضغط التي تنتجها حالة الهجرة مثلاً<sup>(130)</sup>.

"إن النقطة الحيوية في الجدل الذي أثير بشأن مفهوم "ثقافة الفقر" - كما طورها أوسكار لويس - يتمثل في كون الفقر منتشراً في كل مكان؛ فهل يتقاسم هؤلاء الفقراء ثقافة مشتركة تميزهم عن غير الفقراء؟ يركز المؤلف على الفرد في تفسيره للفقر مبتعداً بذلك عن التفسيرات البنوية والمؤسسية التي تركز على الخصائص والسمات الجماعية. لقد أراد أوسكار - بوصفه عالم أنثروبولوجيا - فهم الفقر والسمات المرافقة له باعتباره ثقافة وطريقة حياة تنتقل

<sup>129</sup> - آلان كولون، مدرسة شيكاغو، ترجمة مروان بطش، مجد/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012

ص ص 57، 67، 72، 73

<sup>130</sup> - عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2016، 146

من جيل إلى جيل عبر مسارات العائلة؛ فالأطفال يتشربون عادة القيم والسلوكيات الأساسية لثقافتهم من هؤلاء، مما يجعلهم غير مهئين نفسياً للاستفادة من الفرص التي تتاح لهم لإحداث تغيير حقيقي في حياتهم مستقبلاً.

"في هذا الإطار تندرج سيرة أطفال سانشيز, *Les enfants de Sanchez* التي كتبها أوسكار لويس<sup>(131)</sup>، والتي قدم فيها نموذجاً لمنهج بيوغرافي في الأثنولوجيا بجميع مؤهلاتها وخصائصها في الرواية العائلية، من خلال سرد حياة أسرة مكسيكية تحت برولينتارية، عاشت في غرفة واحدة بمدينة كازا كراندي. Casa grande. وقد سبق له أن قام بدراسة ميدانية عن الهجرة القروية لقبائل الأزتيك في اتجاه مكسيكو، وبالخصوص إلى مدينة كازا كراندي، وخلالها التقى بسانشير وأولاده عن طريق المصادفة؛ فقرّر بعدها إنجاز دراسة معمقة عن هذه الأسرة، وخصوصاً حين وافق الإخوة كونسويلو وروبرطو ومارطا ومانويل وخيسوس القيام بسرد حياتهم بحضوره. وقد تم له ذلك بعد أن استطاع كسب ثقتهم من خلال علاقة صداقة طويلة جمعته بهم، لدرجة أن أوسكار لويس أحس بأن له أسرتين: أسرته في الولايات المتحدة الأمريكية، وأسرة سانشير التي قضى برفقتها مئات من الساعات."

لقد سرد الرواة من أبناء سانشير حياتهم كاملة بحضور الباحث لويس أوسكار، وذلك تماشياً مع الأسئلة التي كان يطرحها عليهم هذا الأخير من حين لآخر، وقد كانت مواضيع النقاش متشعبة ومتعددة في آن، فقد تحدثوا عن: (المشاكل والعقد/ الموت/ الخيانة/ العنف/ الانحراف/ الإجرام/ الإحساسات والمشاعر/ القدرة على الفرح/ الرغبة في الفهم والحب/ الأمل في حياة أفضل... الخ). لقد كانت منهجية الاستجواب التي اعتمدها الباحث وسيلة ناجعة للحصول على أكبر قدر من المعلومات. ولذا فإنه يمكننا أن نتحدث من خلال النموذج البحثي الذي اتبعه عن منهج بيوغرافي أو عن منهج تاريخ الحياة، الذي يبتغي إعادة إحياء تجربة الفاعلين، فإذا كانت النصوص تفرد مكاناً واسعاً لأصوات أخرى غير أصوات الباحث

<sup>131</sup> - Oscar Lewis, *Les enfants de Sanchez, autobiographie d'une famille mexicaine, traduit de l'anglais par Céline Zens, Edition. Gallimard, Paris, 1963.*

يستخرجها من خلال الوثائق والسجلات، فإن الأمر هنا مختلف تماماً حيث تعطي الأهمية لأصوات المتحاورين في الحقل مباشرة. ومن الملاحظ في النموذج الذي اتخذناه دليلاً غياب أي وسيط، فالروايات هنا ليست محكية من طرف شخص برجوازي، وإنما هو تحقيق اجتماعي مع أشخاص غير مختصين يحكون عن حياتهم بعفوية وحرية وبساطة، مما أعطى للعمل جانباً كبيراً من الصدقية والصراحة، إذ التصريحات المختلفة التي استقاها شكات وسيلة تحقق داخلي سمحت له بإنجاز سيرة موضوعية، حيث تعمق بشكل دقيق في دراسة نفسية هؤلاء الأشخاص الذين عاشوا هذا المستوى المدقع من الفقر لمدة طويلة، خاصة وأن هذا الموضوع -حسب أوسكار- لم يكن موضوع دراسة جادة لعلماء النفس والأطباء النفسانيين المختصين.

"لقد قدم لويس أوسكار من خلال رواية الحياة الموسومة بـ "أطفال سانشيز" صورة وطريقة بيوغرافية في الأثنولوجيا أطلق عليها اسم "الأثنوبيوغرافيا"، وقد استخلص الأوربيون وغيرهم من خلال هذه الرواية فائدة كبيرة فيما يتعلق بأهمية روايات الحياة الذاتية؛ فالجمهور القارئ يستمتع كثيراً بقراءة روايات الحياة التي يمكن عدها جنساً هجيناً بين البيوغرافيا والسيرة الذاتية. وهو ما يفسر الرواج الكبير الذي حققته أعمال كثيرة مشابهة خلال فترة السبعينات وما بعدها. ويمكن الإشارة هنا بالدرجة الأولى إلى كتاب: **المعرفة والسلطة في المغرب** لصاحبه الأثنوبولوجي الأمريكي، من جامعة دارتموند، ديل ايكلمان، الذي يعتبر المجتمعات المركبة مجتمعات لا يمكن فهم مظاهرها واقعها السياسي والاجتماعي إلا عن طريق بيوغرافية الأفراد، وهذا ما نلمسه في عدد من الدراسات الأخرى التي اتبعت المنهج نفسه، حيث قام كل من الصحافي الفرنسي جون لاکوتير وزوجته سيمون برسم صور لكل القوى السياسية والاجتماعية الرئيسية التي عملت في الفترة التي أدت أحداثها إلى استقلال المغرب، وذلك عن طريق الوصف البيوغرافي لأهم الشخصيات الفرنسية والمغربية لتلك الفترة. وقام قبله المؤرخ والسوسيولوجي الشهير جاك بيرك من جهته بالكتابة عن حياة العالم

المغربي الحسن اليوسي الذي عاش في فترة القرن السابع عشر، وقدمه كنموذج مختلف عن علماء القرويين انتماء ومعرفة وثقافة، وذلك بالنظر إلى جذوره القروية ومواقفه المتمردة تجاه السلطة في عهد المولى إسماعيل. إنه نموذج لعالم من طينة أخرى لم يسلك مسار علماء فاس الموالين للتقليد، بل إنه من العلماء بالغي الندرة في زمانه بالمغرب، غير أنه ليس بالإمكان مقارنته مع علماء الضفة الشمالية للمتوسط، حيث ساد النقد العقلاني قرنين قبل زمانه" (132).

"وهو العالم ذاته الذي نجده حاضراً أيضاً وبشكل بارز عند صاحب كتاب تأويل الثقافات كليفورد غيرتزر عن الإسلام في المغرب وأندونيسيا، والذي أعطى فيه وصفاً دقيقاً للوسط الثقافي والديني خلال فترة حرجة من تاريخ المغرب، وهي فترة تثبيت الدولة العلوية ركائز سلطتها الدينية والسياسية بعد القضاء على خصومها من الدلائيين والسملالين. كما استغل واتربوري، عالم السياسة الأمريكي، حياة تاجر سوسي يعيش في الدار البيضاء ليضرب مثلاً للحساسيات السياسية لجيل بأكمله" (133).

"وفي السياق نفسه تناولنا في أطروحتنا التي خصصناها للفقير علي بن محمد السوسي السملالي، مواقف عالم من القرن التاسع عشر، متشبع بالثقافة المدنية بالرغم من جذوره القروية، وجعلناه أحد أهم مفاتيح فهم البنية الثقافية والسياسية لمغرب القرن التاسع عشر، فحياته وكتاباتاته التي تصنف ضمن دائرة الكتابة الإصلاحية بامتياز تسلط الضوء على بعض الجوانب الخفية من مواقف السلطة من الإصلاح، وعلاقة السلطة بالرعية. كما يُمْكِنُ من

132- عادل المساتي، سوسولوجيا الدولة بالمغرب: إسهام جاك بيرك، تقديم أحمد بوجداد، سلسلة المعرفة الاجتماعية والسياسية، الطبعة

الأولى، 2010، ص ص 50، 51.

133- ديل إيكلمان، المعرفة والسلطة في المغرب، صور من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين، ترجمة محمد أعفيف، ليتوغراف

طنجة، طبعة جديدة، 2009، ص 23.

خلال تتبع سيرة حياته تلمس الفروقات الفردية بين العلماء والكتاب خلال الفترة المدروسة<sup>(134)</sup>

"إنَّ منهج ا لسيرة الذي تمَّ توظيفه في حقول السوسولوجيا والأثنولوجيا، والذي سُمِّي في البداية بالمنهج البولوني (الذي ركز على روايات الحياة) تمَّ تطبيقه أول مرة في العشرينيات من القرن الماضي، وذلك قبل دراسة لويس أوسكار، حيث قام عالما الاجتماع بمدرسة شيكاغو وليام إسحاق طوماس (1863-1947) وفلوريان ويتولد زنانيكي (1882-1958) بدراسة هامة عن الفلاحين البولونيين المهاجرين إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية. وتتطرق هذه الدراسة التي تم نشرها في خمسة أجزاء لوضعية العمال والفلاحين البولونيين في موطنهم الأصلي، ثم وضعيتهم بعد هجرتهم لأمريكا، من خلال تسليط الضوء على أنماط وأشكال التفاعل والعلاقات التي نسجوها فيما بينهم بعد الهجرة أو تلك التي نسجوها مع غيرهم سواء من المهاجرين الآخرين أو المقيمين، وهذا ما استدعى بالضرورة التطرق إلى موضوع الاندماج أو الانصهار. وكما سبق فقد تم اعتماد تقنية "دراسة الحالة" أو "المنهج البيوغرافي" من خلال تدوين قصص وحكايا حياة هؤلاء المهاجرين"<sup>(135)</sup>. وقد استمرت الاتجاهات البحثية الأنجلوساكسونية من بعدهما في الاعتماد على هذا المنهج لبيوغرافي لدراسة الفئات الاجتماعية المهمشة، التي لم تتح لها في السابق فرصة الحديث عن نفسها. وهكذا تم إنتاج سير فردية واجتماعية متعددة ساهمت في تجديد أبحاث التاريخ والسوسولوجيا والأنثروبولوجيا، وأعدت الاعتبار للمعيش اليومي".

<sup>134</sup>- خالد طحطح، علي بن محمد السوسي السملالي بيوغرافية ثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، نوقشت موسم 2013-2014، ص 89.

<sup>135</sup>- عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسولوجيا التحضر والهجرة، مرجع سابق، ص 97، 98.

"خصائص اقتصادية: تتمثل في الصراع من اجل البقاء، البطالة، البطالة الجزئية، انخفاض الأجور، غياب المدخرات تنوع المهن ذات المهارات المنخفضة، ونمط الشراء المستمر بكميات قليلة كلما دعت الضرورة إلى ذلك واستعمال الأثاث والملابس المستعملة، وشيوع التسليف المنظم بين الجيران والاقتراض بفوائد مرتفعة وغياب المخزون السلعي من طعام في المنزل.

خصائص اجتماعية: أما الخصائص الاجتماعية لثقافة الفقر فقد مثلها في انعدام الخصوصية، افتقاد الوازع الديني، ارتفاع معدلات الوفاة، كثرة هجر الزوجة والأولاد، الشعور بالاستسلام والقدرية، ويرى اوسكار لويس بان ثقافة الفقر هي تكيف ورد فعل الفقراء على مكانتهم الهامشية في المجتمع الطبقي، لأنها تمثل جهدا للكفاح والتغلب على المشاكل مع شعور بفقدان الأمل واليأس الذي يتطور إلى إدراك عدم احتمال انجاز النجاح بقيم وأهداف المجتمع الأكبر".

#### دراسة الفقر - اوسكار لويس: (137)

من الآراء التي أكسبته شعبية واسعة في هذا المجال ذلك الرأي القائل بان هناك ثقافة فقر متميزة ذات صفات مشتركة بغض النظر عن المجتمع الذي يوجد فيه هذا الفقر وتدين هذه الفكرة بوجودها إلى العالم الانثروبولوجي اوسكار لويس التي أجراها في بداية الأمر على الأحياء المتخلفة في مكسيكو سيتي والتي تعرف باسم فيكندادس vecindades ، ثم على الجالية المهاجرة من أبناء بورتوريكو paertorican، والذين يعيشون في مدينة نيويورك الأمريكية، وقد تبلورت أفكار لويس وأصبحت أكثر تحديدا من خلال دراستين له الأولى على أطفال سانخيز والثانية حول الحياة، حيث درس في الأولى حالة إحدى الأسر الخمس دراسة

136- ابراهيم فلوم، مرجع سابق، ص 69.

137- محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ص 38- 39.

تتبعية مركزة، أما في الثانية فكان تركيزه على المهاجرين البوتوريكيون الذين استقروا ويعيشون في مدينة نيويورك ومدى تأقلمهم مع حياة المهجر والمجتمع الجديد، وقد تركزت كثير من أعمال لويس على وصف حياة الفقراء الاسبان في الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية".

#### نتائج الدراسة: (138)

وجاءت نتائج الدراسة مثيرة للدهشة الهيئات الحكومية المختصة والهيئات والمنظمات السياسية حيث اتضح أن نتائج تلك الدراسة يمكن تلخيصها في عنوان واحد هو أن الفقراء يدفعون ثمننا أعلى عند شراء احتياجاتهم، ويتضح هذا من شراءهم للسلع الرديئة من المحلات التي تبدو في الظاهر رخيصة واعتمادهم على الشراء بالأجل دون الانتباه إلى الأعباء المالية المجحفة المترتبة على هذا الأسلوب وفي عدم ترشيد الاستهلاك بشراء أشياء غير ضرورية، فهم يدفعون ثمننا أعلى مما ينبغي لأنهم لا يقرؤون الصحف، فلا يعرفون مثلاً المحلات أو المناسبات التي تجري فيها تخفيضات حقيقية، ولأنهم لا يقارنون بين السلعة والتمن لنقص دائرة الخبرة ولا يتبعون أسلوب التخطيط في اقتناء المشتريات، ولا يغيرون السلع التي يشترونها أو المتاجر التي يتعاملون بها بسرعة ومرونة والتزامهم بالتراث ومحافظتهم عليه (كإجراء دفاعي ضد المجتمع المحيط)".

عاشرا: الفلاح البولندي -ويليام توماس وفوليان زنانكي-

موضوع الدراسة وإطارها التصوري والمنهجي: (139)

"حاولت هذه الدراسة التصدي لأثار هجرة الفلاحين البولنديين إلى أوروبا وأمريكا، وذلك يحصر التغيرات الاجتماعية والثقافية، التي تركت بصماتها على مكونات التنظيم الاجتماعي في بولندا.

استهدفت هذه الدراسة الميدانية الكشف عن التغيرات الاجتماعية التي طرأت على التنظيم الاجتماعي في المجتمع البولندي، وقيم واتجاهات الفلاح البولندي نتيجة حركة الهجرة الشاملة من بولندا إلى أوروبا وأمريكا والكشف عن العوامل الذاتية المؤثرة في الموقف الاجتماعي، التي تتجسد فيه كافة التفاعلات الاجتماعية.

ولأجل ذلك انطلقت الدراسة من مجموعة أفكار وتصورات أهمها:

1/ النظرة إلى التنظيم الاجتماعي باعتباره يتألف من النظم الاجتماعية التي تتشكل من القواعد والمعايير التي يتحدد من خلالها سلوك الأفراد في المجتمع، وان الثقافة تمثل القيم المادية والاجتماعية لأية جماعة من الجماعات البشرية، وان هناك علاقة تبادلية بين كل من المجتمع والثقافة والشخصية، وهذا ما حاولت الدراسة بحثه.

2/ إن معالجة أي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية نظريا وامبريقيا تقتضي النظر إليها نظرة كلية، بمعنى تناولها في ضوء مبدأ التكامل الذي يعني دراسة الظواهر الاجتماعية في ضوء السياق المجتمعي كله، وفي ضوء علاقاتها الظاهرة ببقية أجزاء الواقع الاجتماعي، وهذه النظرة هي ذاتها التي تنطلق منها الدراسة.

3/ أن الفعل الاجتماعي هو الوحدة الأساسية التي ينبغي في ضوءها تحليل المجتمع والثقافة، من خلال الموقف الاجتماعي الذي يتضمن الظروف الموضوعية القائمة (ظروف الحياة)،

139- كمال التابعي، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993، ص ص 97-134.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

والاتجاهات الموجودة التي تؤثر على سلوك الفرد بالإضافة إلى تحديد الفرد للموقف الاجتماعي".

ومن هذا المنطلق قسمت الدراسة إلى أربعة أجزاء: (140)

**ج1/ التنظيم الأول للمجموعة:** حيث أن العائلة البولندية التقليدية هي الفاعل الاجتماعي الأساسي، وتعد واجبات الأفراد فيما بينهم التزام لا عاطفة.

**ج2/ الفوضى وإعادة التنظيم:** ظهرت تحولات سريعة وفجائية قلصت من حجم العائلة وخلقت أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية، وهذا ما ساعد على تكوين اتجاهات جديدة للأفراد تتعارض مع القيم الأسرية البولندية ومن هنا بدأت فكرة التفكك الاجتماعي وبالتالي الهجرة.

**ج3/ حالة النظام والنظام في أمريكا:** بعدما كان المهاجر البلندي يعيش وفقا لأنظمة معينة اخذ حرية بعد تنقله إلى أمريكا، فأصبح في حالة اللانظامية، وبهذا ظهرت اتجاهات وقيم جديدة، وبهذا شاع بين البولنديين التفكك الفردي (افتقاد الفرد القدرة على التنظيم من اجل تحقيق أهدافه).

**ج4/ الاهتمام بدراسة سيدة مهاجر:**

**فرضيات الدراسة: (141)**

صاغ الباحثان مجموعة من التساؤلات التي تم بحثها من خلال الدراسة:

- إلى أي مدى تتفق الفردانية مع الترابط والتضامن الاجتماعي؟ وما هي أشكال التنظيم الاجتماعي التي تسمح بأكبر قدر من الفردانية؟

- ما طبيعة العلاقة بين الكفاءة الفردية والكفاءة الاجتماعية؟

- إلى أي مدى يرتبط الشذوذ في السلوك بالظروف الاجتماعية والاقتصادية ودرجة التضامن في المجتمع؟

<sup>140</sup> - كمال التابعي، مرجع سابق، ص135.

<sup>141</sup> - المرجع السابق، ص135.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

- ما هي أوجه التغير في القيم الاجتماعية؟
  - كيف يمكن الحصول على أعلى استجابة متبادلة والتوافق مع اقل قدر من التدخل في الاهتمامات الشخصية؟
  - كما حاولت الدراسة فحص مشكلات أخرى مثل: مشكلات السعادة الاجتماعية، ومشكلة صراع الأجناس ومشكلة التنظيم المثالي للثقافة.
- النتائج: (142)
- حاولت هذه الدراسة التصدي لآثار هجرة الفلاحين البولنديين على التغيرات في الأنساق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على نطاق المجتمع البولندي.
  - حاولت كذلك الوقوف على تأثير برامج ومشروعات التنمية على التغير في انساق القيم في مجتمع محلي حضري.
  - تبنت الدراسة المدخل البنائي الوظيفي في الكشف (نظريا، امبريقيا) عن ملامح التغير في المجتمع البولندي بفعل عامل الهجرة.
  - اعتمدت هذه الدراسة على طريقتي دراسة الحالة وتحليل المضمون والطريقة المقارنة للحصول على البيانات.
  - اعتمدت كذلك على الرسائل المتبادلة بين المهاجرين وأسرهم، وعلى الصحف والمجلات والوثائق كطريقة بجمع البيانات.
  - كشفت هذه الدراسة عن أثر المتغيرات الاقتصادية في تغير البناء الاجتماعي ومكونات وثقافة المجتمع.
  - كما كشفت عن محددات للمكانة الاجتماعية والاقتصادية في القرية البولندية".

حادي عشر: ادغار موران

نبذة تاريخية لادغار موران:

إدغار موران (Edgar Morin) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر. ولد في باريس في 08 يوليو 1921، يعرف نفسه بأنه بنائي بنائية (علم نفس) ويقول: " من يفكر أحقق." المنطق، الوعي والمعرفة، علم الأحياء والفنون لاسيما السينما. من أهم مؤلفاته "الأحمق الغبي هو من لا يفكر" وهو مؤلف موسوعي من 1000 جزء، "السينما أو الرجل الخيالي" "Cinéma ou l'homme imaginaire" وكذلك من أهم مؤلفاته "وحدة الإنسان" و "الإنسان والموت."<sup>(143)</sup>

في بداية القرن العشرين هاجرت أسرة موران من سالونيك في اليونان إلى مرسيليا، ثم إلى باريس حيث ولد إدغار هناك، وهو من يهود سفارديون.

عندما غزا الألمان فرنسا في عام 1940، قام إدغار بمساعدة اللاجئين وانضم إلى المقاومة الفرنسية، واستخدم اسم موران كاسم مستعار بوصفه عضواً في المقاومة الفرنسية. ثم انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1941.<sup>(144)</sup>

قام بتأسيس مجلة *Arguments* بالفترة (1954-1962). وقام بإصدار كتابه *Autocritique* في سنة 1959. كان الكتاب يوضح تمسكه ثم خروجه من الحزب الشيوعي.

في سنة 1960 سافر إدغار إلى أمريكا اللاتينية وقام بزيارة البرازيل، تشيلي، بوليفيا، بيرو، المكسيك. ثم عاد إلى فرنسا ونشر كتابه *'L'Esprit du Temps', a work on popular culture*.<sup>(145)</sup>

<sup>143</sup> - Daniel Bounoux et Bastien Engelbach, « Entretien avec Edgar Morin (2) : Science et philosophie », nonfiction.fr, 10 avril 2008

<sup>144</sup> - Edgar Morin, Véronique Nahoum-Grappe, Haïm Vidal Sephiha (1989) "Vidal et les siens", Paris: Seuil, 317

<sup>145</sup> - Morin, Edgar; Boukhardi, Sophie (January 2004). "Talking to Edgar Morin: Defining dialogue". *UNESCO: the new Courier*: 8–11.

من مؤلفاته:

ثقافة أوروبا وبربريتها.

إلى أين يسير العالم.

هل تسير إلى الهاوية.

الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب.

عنف العالم مع جين بوديارد.

النهج إنسانية البشرية، الهوية البشرية. .... الخ من الأعمال الأخرى.

ادغار موران وإنسانية البشرية: (146)

تناول في هذا الكتاب "النهج إنسانية البشرية" وهي قضية انشغل بها الكاتب 30 سنة ولقد حاول في تلك الفترة صياغة مشروع الفكري، الذي تجسد في سلسلة إصدارات أطلق عليها النهج، افتتحها ب النهج طبيعة الطبيعة".

قدم وصفة الصيغة النهائية للنهج، وهو يتضمن خلاصة تصوراته حول الظاهرة البشرية وإنسانية الإنسان مستضيئاً بالتقدم العلمي الذي حدث في ميادين المعرفة والإنسانية المختلفة التي انشغلت ب الظاهرة البشرية.

إدراك الوحدة المعقدة لهويتنا، انه يدمج بصورة تأملية مختلف العلوم المتصلة بالكائن البشري من اجل الوصول إلى تأصل الكوني على المستويين الفيزيائي والبيولوجي.

وتحظى الثقافة في هذه الكتاب بأهمية خاصة، فيما يتعلق بمفهوم الإنسانية، الذي لا يكتمل إلا من خلالها، وكذلك بواسطة الثقافة نتاجا لقدرات العقل البشري، لذا فان موران يتابع التغيرات التي أحدثتها في مسار تطور الجنس البشري.

تناول محددات الطبيعة البشرية وهويتها الإنسانية كغريزة الحب والعقل والأسطورة، ويقدم العقل والأسطورة كنفقيين وكأمريين متكاملين في الوقت نفسه فأحدهما يستدعي الآخر.

146- إدغار موران : الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصور ومنير الحجوجي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص06.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

ويتناول الهوية الشخصية ويقدم الفرد بوصفه حاملا للشكل الكامل المتعلق بالوضع البشري، أما اختزال الفرد وتذويبه في النوع / المجتمع، فإنها عملية متغيرة وشاذة لأنه هو وحده الذي يمتلك الوعي والذاتية المكتملة.

يتناول الكتاب بعض الظواهر الثقافية الملازمة لحياة الإنسان كالخيال والحالة الجمالية والشعور، التي لا يعدها ظواهر عارضة أو فوقية بل أنها حالات للشعور بالحقيقة الحياتية في دواخلنا ويتطرق موران إلى قضية الهوية الاجتماعية".

تحليل نص إدغار موران (147):

إدغار موران: فيلسوف ومفكر وعالم اجتماع ولد في باريس سنة 1921: درس التاريخ وعلم الإجماع والاقتصاد والفلسفة. عمل في الصحافة وشغل منصب رئيس المركز الوطني للبحوث العلمية سابقا ويرأس حاليا "الوكالة الأوروبية للثقافة" في منظمة اليونسكو.

ببنية النص: تداخل العلم بالتقنية في الحقبة المعاصرة

تطوير التقنية يؤدي إلى تطوير المعرفة العلمية

العلم ينتج التقنية، والتقنية تؤثر في المجتمع، والمجتمع يحول العلم، في إطار صيرورة تفاعلية بين هذه المؤسسات الكبرى.

البنية الحاجية

حجة مثال: التجريب العلمي هو تقنية، وقد استخدمها موران لإبراز أن العلاقة التفاعلية بين العلم والتقنية.

مثال ثان: التلسكوبات ساهمت في تطوير المعرفة العلمية الخاصة بالأجسام اللامتناهية الصغر واللامتناهية الكبر، وهذا دليل على أن التقنية بدورها تسهم في تطور العلم.

أطروحة النص: التداخل الوثيق والتفاعل المتبادل بين التقنية والعلوم والمجتمع في عالمنا المعاصر.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسية في علم الاجتماع

إشكالية النص: ما العلاقة بين العلم والتقنية؟ وكيف يؤثر كل منهما في الآخر؟ ثم ما هي نتائج ذلك؟

استنتاج: يرى إدغار موران أن الحقبة المعاصرة شهدت التحاما بين العلم والتقنية، وهو ما أسماه في موضع آخر "التقنية العلمية"، وقد تحولت هذه التقنية العلمية إلى منهج للتحكم يقول إدغار موران: "إن المنهج العلمي منهج للتحكم يفترض بل ويستدعي أكثر فأكثر مزيدا من التقنيات التي تسمح بدورها بمزيد من التحكم".

**المراجع:**

1. إبراهيم فلوم، الثقافة وإنتاج الديمقراطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001.
2. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، المجلد الخامس، القاهرة: شركة ومطبعة الحلبي وأولاده، 1392هـ.
3. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (د.ت)، لسان العرب.
4. إدغار موران : الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصور ومنير الحجوجي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.
5. آلان كولون، مدرسة شيكاغو، ترجمة مروان بطش، مجد/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2012.
6. بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008.
7. بدر يحيى مرسي، علم الاجتماع مقدمة في سوسيولوجيا المجتمع، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2008.
8. بيومي محمد احمد، أسس وموضوعات علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، 2000.
9. تيودور كابلوف، البحث السوسيولوجي، دار الفكر الجديد، بيروت، 1979.
10. ثورشتاين فييلن ، الطبقة المترفة ، ترجمة : محمود محمد موسى ، مراجعة : د. ابراهيم سعد الدين ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون سنة ) .
11. الحسن إحسان محمد، رواد الفكر الاجتماعي، دار وائل للنشر، بغداد، 1999.
12. خالد طحطح، علي بن محمد السوسي السملالي بيوغرافية ثقافية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، نوقشت موسم 2013-2014.
13. ديل إيكلمان، المعرفة والسلطة في المغرب، صور من حياة مثقف من البادية في القرن العشرين، ترجمة محمد أعفيف، ليتوغراف طنجة، طبعة جديدة، 2009.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

14. الزبيدي، محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد العليم الطحاوي. المجلد الرابع عشر، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1394هـ.
15. سامية جابر، الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990.
16. ستوفر وزملاؤه، دراسات في علم النفس الاجتماعي في الحرب العالمية الثانية، المجلد الأول.
17. سمعان، مكرم (1964م) مشكلة الانتحار، دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري بالقاهرة. القاهرة: دار المعارف، 1964.
18. سيلز، د.إل، الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، مترجم، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1، 2010.
19. صلاح التتواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976.
20. صلاح التتواني، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976.
21. عادل المساتي، سوسيولوجيا الدولة بالمغرب: إسهام جاك بيرك، تقديم أحمد بوجداد، سلسلة المعرفة الاجتماعية والسياسية، الطبعة الأولى، 2010.
22. عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، الطبعة الأولى.
23. عبد الفتاح حسن، تاريخ الأمريكيتين وتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، 2003.
24. عبد الله محمد اسعد وليلى إبراهيم العريان، العلاقات الإنسانية، وزارة التربية، الكويت، 1979 - 1980.
25. الغريب عبد العزيز بن علي، نظريات علم الاجتماع، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2009.

## مطبوعة: الدراسات المؤسسة في علم الاجتماع

26. فايد حسين، دراسات في السلوك الشخصية، ط1، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، 2004.
27. كمال التابعي، دراسات في علم الاجتماع الريفي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1993.
28. محمد رضا البغدادي، ندوة الإدارة المدرسية تجديد وتجويد: ورقة العلاقات الإنسانية ودورها في تطوير الأداء، (د.م): دائرة الإشراف التربوي، 2000.
29. محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط3، 2004.
30. محمد علي محمد، علم اجتماع التنظيم، ج/1، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1979).
31. محمد محمد شفيق، علم النفس الاجتماعي، ط1، القاهرة، 2000.
32. محمد منير مرسى، الإدارة التعليمية: أصولها وتطبيقاتها، القاهرة: عالم الكتب، 1996.
33. محمد منير مرسى، الإدارة المدرسية الحديثة، القاهرة: عالم الكتب، 1995.
34. مصطفى، إبراهيم وآخرون (ب.ت) المعجم الوسيط. المجلد الثاني تركيا: المكتبة الإسلامية، 1392 هـ.
35. ناصر دادي عدون، المؤسسة الاقتصادية، دار المحمدية العامة، الجزائر، 1998.
36. يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، الطبعة الأولى.
37. يعقوب نشوان، الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، عمان: دار الفرقان، 1986.

38. Bech, A. et al. (1979). Assessment of Suicidal Ideation: The Scale for Suicidal Ideation, Journal of Consulting & Clinical Psychology, Vol. 47.

39. Bonner, R. & Rich, A. (1987). Toward a predictive model of suicidal ideation and behavior: Some preliminary data in college students, Suicide & Life-Threatening Behavior, Vol. 17.

40. Bronislaw Malinowski, *Crime and Custom in Savage Society* (New York, Humanities Press, 1926).
41. Daniel Bounoux et Bastien Engelbach, « Entretien avec Edgar Morin (2) : Science et philosophie », *nonfiction.fr*, 10 avril 2008.
42. Domenico Losurdo, *Il revisionis mostrico, problemi emiti, laterja*, Bari, 1996.
43. Edgar Morin, Véronique Nahoum-Grappe, Haïm Vidal Sephiha (1989) "Vidal et les siens", Paris: Seuil.
44. Erik Lundberg, Gunnar Myrdal's Contribution to Economic Theory: A Short Survey, *Swedish Journal of Economics* 74, no. 4 (1974): quoted on 480.
45. Gunnar Myrdal, What Is Economic Development? *Journal of Economic Issues* vol. 8 (1974).
46. Howard Becker, reconnaît également que la distinction entre phénomènes (fonctionnels), *European Journal of Sociology*, II, 1961.
- Howards S . Becker . *Outsiders : 1973, studies in The sociology of Deviance* New York Free Press .
47. <http://www.startimes.com/?t=30181466/> 23/05/2017. 09 :40.
48. John P. Marquand, *Poist of No Return*, Boston, 1949.
49. Morin 'Edgar' Boukhardi 'Sophie (January 2004). "Talking to Edgar Morin: Defining dialogue". UNESCO: the new Courier.
50. Oscar Lewis, *Les enfants de Sanchez, autobiographie d'une famille mexicaine, traduit de l'anglais par Céline Zens*, Edition. Gallimard, Paris, 1963.
51. Robert K. Merton. (*Social Problems and Social Theory*), Brace and World Inc, 1961.
52. Voir Donald R. Cressey, *Criminologie Research and the Definition of Crimes*, *American Journal of Sociology* L V I, May 1951.
53. Vol I Samuel A , Stouffer et al, *The American Soldier, Adjustment During Army Life*, Princeton, N , j , Princeton University Press, 1949.
54. W. Lloyd Warner and Paul S, University Press, 1941.
55. Waller R Gove , *Social Reaction as an Explanation of Mental Illness : an Evaluation* *American Sociological Review* 35 (October 1970).